الخلاصة

في شرح الأربعين النووية

حققها وخرج أحاديثها وعلق عليها

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م

حقوق الطبع لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد المرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذه الأربعين النووية والزيادة عليها ،والتي زادها ابن رجب الحنبلي رحمه الله ،وقام بشرحها بكتابه النفيس " جامع العلوم والحكم "

وقد قمت بتحقيقها ،وكانت طريقتي في العمل على الشكل التالي :

١- نقل نص الحديث من مصدره الأساسي الذي ذكره مسنداً.

٢- تخريج الحديث باختصار

٣- الحكم على الحديث جرحا وتعديلاً إذا لم يكن في الصحيحين،وجلها تدور بين الصحيح والحسن بشقيه.

٤- شرح مفردات الأحاديث في الهامش.

٥- المعنى العام بشكل مختصر.

٦- ما يرشد إليه الحديث.

وقد اعتمدت في النقطتين الأخيرتين على شرح الشيخ :" عبد الله بن صالح المحسن" حفظه الله للأربعين النووية والزيادة عليها، والتحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا النووية.

أسأل الله تعالى أن ينفع بها مؤلفها ومحققها وناشرها والدال عليها في الدارين.

قال تعالى :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَـاكُمْ عَنْـهُ فَـانْتَهُوا}
[الحشر:٧]

رئيس الهيئة الشرعية في محافظة حمص

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ١٤ رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ل ٢٠١٣/٥/٢٣ م

[الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ - إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى]

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب،قَالَ:قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا،أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».رواهُ البُخاريُّ ومُسلِمٌ [1].

المعنى العام

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين جليل القدر كثير الفوائد لأنه من الأحاديث الجامعة التي عليها مدار الإسلام وقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث أن جميع الأعمال الشرعية المفتقرة إلى النية أقوالها وأفعالها الصادرة من كل مؤمن لا تصح ولا تقبل بدون النية.لأن النية هي الأساس والميزان للأعمال والأقوال كلها.فإذا صلحت النية صلح العمل،وإذا فسدت فسد العمل،فإذا كانت النية صالحة والعمل موافقا للشرع فالعمل مقبول وإن كانت يقصد بها غير ذلك فالعمل مردود.ثم إنا لرسول الله ﷺ فصل في هذا الحديث بتفصيل! كالمثال بأن من هاجر إلى دار الإسلام حبا لله تعالى.ورغبة في الإسلام وتعلم الدين والعمل به حصل له جزاء ما نوى.وإن كان قصده وهدفه أمورا دنيوية كدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فجزاؤه على حسب مقاصده،والله سبحانه يعلم السر وأخفى،وسيجازى كل عامل بعمله إن خيرا فخير،وان شرا فشر.

ما يرشد إليه الحديث:

---

[1] - صحيح البخاري (١/ ٦)(١) وصحيح مسلم (٣/ ١٥١٥)١٥٥ - (١٩٠٧)

[ش(إنما الأعمال بالنيات) أي صحة ما يقع من المكلف من قول أو فعل أو كماله وترتيب الثواب عليه لا يكون إلا حسب ما ينويه. و(النيات) جمع نية وهي القصد وعزم القلب على أمر من الأمور. (هجرته) الهجرة في اللغة الخروج من أرض إلى أرض ومفارقة الوطن والأهل مشتقة من الهجر وهو ضد الوصل. وشرعا هي مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وقصدا لإقامة شعائر الدين. والمراد بها هنا الخروج من مكة وغيرها إلى مدينة رسول الله ﷺ. (يصيبها) يحصلها. (ينكحها) يتزوجها. (فهجرته إلى ما هاجر إليه) أي جزاء عمله الغرض الدنيوي الذي قصده إن حصله وإلا فلا شيء له]

(١) إنه لا يجوز الإقدام على أي عمل حتى يعرف الإنسان حكمه.

(٢) لا يجوز التوكيل في نفس النية.

(٣) إن الغافل عن النية لا يصح منه العمل،وإن جميع الأعمال الشرعية لا تعتبر إلا بالنية.

(٤) لا تجوز النيابة في العبادات إلا ما خصه دليل.

(٥) فضل الهجرة إلى الله ورسوله.وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين:الأول ــ الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن،كما في هجرتي الحبشة،وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة،الثاني ــ الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان،وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين.وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة،إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص.وبقي عموم الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام لمن قدر عليه واجبا.أو من بلد تعمل فيها المعاصي إلى بلد مستقيم أهلها.

(٦) الحث على الإخلاص،فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان صوابا وابتغي به وجهه.ولهذا استحب العلماء استفتاح المصنفات بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية..

(٧) إن النية محلها القلب والتلفظ بها ليس واجباً.

(٨) أن الأفعال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل إذا فعلها المكلف على سبيل العادة لم يترتب الثواب على مجرد ذلك الفعل وإن كان صحيحا،حتى يقصد بها التقرب إلى الله.

(٩) بالنية الصالحة تتحول المباحات إلى مستحبات يثاب عليها الإنسان،فمن جلس مع غيره وسامره وآنسه من غير باطل فيثاب على هذا المباح إن قصد مؤانسة أخيه المسلم وإدخال السرور عليه وهكذا

(١٠) قال الفضيل بن عياض رحمه الله :" فِي قَوْلِهِ: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: ٧] قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا ولَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ

صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ "[٢]

(١١) من أساليب التعليم:ذكر قاعدة ثم ذكر مثال يوضحها .ففي هذا الحديث ذكر النبي ﷺ قاعدة وهي:" إنما الأعمال بالنيات"ثم ذكر لها مثالاً يوضحها وهو " الهجرة " .

(١٢) أشد ملهيات الدنيا ومنقصات الدين الشهوة،ولذلك خصها النبي ﷺ بالذكر فقال " أو امرأة ينكحها " مع أنها داخلة في قوله " ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها " ففيه الإرشاد للحذر منها على وجه الخصوص .

(١٣) الوساوس والخواطر والواردات التي ترد على النية لا تؤثر عليها ما لم تغير أصل النية ،فالنية الفاسدة هي النية التي أصل عقدها ومنشئها وبدايتها لغير الله أو أن صاحبها غير نيته بعد أن كانت صالحة وصرفها عن أصلها .ولذلك قال في شأن النية الفاسدة الباطلة " ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها " فأصل نيته إرادة الدنيا " ومن عرف هذا الأصل سلم من شبهات الوساوس وخواطر النفس بإذن الله سبحانه .

[٢] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٥)

[الْحَدِيثُ الثَّانِي - حديث جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسانِ]

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ:بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ،إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ،شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ،لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ،وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ،حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ،وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ،وَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ،وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ،وَتَصُومَ رَمَضَانَ،وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»،قَالَ:صَدَقْتَ،قَالَ:فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ،وَيُصَدِّقُهُ،قَالَ:فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ،قَالَ:«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ،وَمَلَائِكَتِهِ،وَكُتُبِهِ،وَرُسُلِهِ،وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»،قَالَ:صَدَقْتَ،قَالَ:فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ،قَالَ:«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»،قَالَ:فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ،قَالَ:«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ:فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا،قَالَ:«أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا،وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»،قَالَ:ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا،ثُمَّ قَالَ لِي:«يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ:اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:«فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».رواه مسلم[٣]

---

[٣] - صحيح مسلم (١/ ٣٦)١ - (٨)

[ش (ووضع كفيه على فخديه) معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخدي نفسه وجلس على هيئة المتعلم (فعجبنا له يسأله ويصدقه) سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل إنما هذا كلام خبير بالمسئول عنه و لم يكن في ذلك الوقت من يعلم ذلك غير النبي ﷺ (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الخ) قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه (أمارتها) الأمارة والأمار بإثبات الهاء وحذفها هي العلامة (ربتها) في الرواية الأخرى ربها على التذكير وفي الأخرى بعلها وقال يعين السراري ومعنى ربها وربتها سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها (العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) أما العالة فهم الفقراء والعائل الفقير والعيلة الفقر وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر والرعاء ويقال فيهم رعاة ومعناه أن أهل البادية

المعنى العام:

يخبرنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث جبريل المشهور هذا بأن جبريل عليه السلام خرج عليهم بصورة رجل لا يعرف وهم جلوس عند النبي ﷺ فجلس بين يدي النبي ﷺ جلسة المتعلم المسترشد فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجابه بهذه الأركان التي تتضمن الإقرار بالشهادتين والمحافظة على الصلوات الخمس وأداء الزكاة لمستحقيها وصيام شهر رمضان بنية صادقة وأداء فريضة الحج على المستطيع والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق،المتصف بالكمال المنزه عن النقص.وأن الملائكة خلقهم الله عباد مكرمون لا يعصون الله تعالى وبأمره يعملون،والإيمان بالكتب المنزلة على الرسل من عند الله تعالى وبالرسل المبلغين عن الله دينه وأن الإنسان يعبد الله كأنه يشاهده سبحانه،فإن لم يقم بهذه العبادة فليعبد الله تعالى خوفا منه لعلمه أنه مطلع لا تخفي عليه خافية،وأن علم الساعة لا يعلمه أحد من الخلق وأن من علامات الساعة كثر في السراري وأولادها أو كثرة عقوق الأولاد لأمهاتهم يعاملونهن معاملة الإماء،وأن رعاة الغنم والفقراء تبسط لهم الدنيا في آخر الزمان فيتفاخرون وفي زخرفة المباني وتشييدها.وكل هذه الأسئلة والأجوبة عليها لتعليم هذا الدين الحنيف من جبريل لقول رسول الله ﷺ "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

ما يرشد إليه الحديث

(١) إن الملائكة يتشكلون بما شاءوا من الصور.

(٢) آداب المتعلم والمسترشد مع العالم.

(٣) التفرقة بين مسمى الإسلام،ومسمى الإيمان،حيث جعل الإسلام في الحديث اسما لما ظهر من الأعمال،والإيمان اسما لما بطن منها،وقد جمع العلماء بين هذا وبين ما دلت عليه النصوص المتواترة من كون الإيمان قولا وعملا،بأن هذين الاسمين إذا أفرد أحدهما دخل

وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان (فلبث مليا) هكذا ضبطناه من غير تاء وفي كثير من الأصول المحققة لبثت بزيادة ياء المتكلم وكلاهما صحيح (مليا) أي وقتا طويلا]

فيه الآخر،ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده،وإذا قرن بينها دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي..

(٤) إن الإسلام والإيمان والإحسان كل يسمى دينا.

(٥) إن الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } [لقمان: ٣٤].

(٦) إن من علامات الساعة كثرة السراري وأولادها،أو عقوق الأولاد لأمهاتهم كـــأنهن عندهم إماء.

(٧) وجوب الإيمان بالقدر،وهو على درجتين إحداهما _ الإيمان بأن الله سبق في علمه ما يعلمه العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم،ومن هو منهم من أهل الجنة،ومن هو منهم من أهل النار،وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه.الثانية _ أن الله خلق أفعال العباد كلها مـــن الكفر والإيمان والطاعة والعصيان.وشاءها منهم،ومع ذلك لا يحتج به في المعاصي..

(٨) ترك الإنسان الخوض في الأمور التي ليس عنده علم بها.

(٩) كراهية ما لا تدعو إليه الحاجة من تطويل البناء وزخرفته.

(١٠) الإخبار بأن من علامات الساعة أن تفتح الدنيا على أهل البادية والفاقة فتنصرف همهم إلى تشييد المباني وليس لهم هم إلا ذلك.وأن من أشراط الساعة انعكاس الأمـــور بحيث يصير المربي مربيا.والسافل عاليا.

(١١) تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على الفضلاء،فإن جبريل أتى معلمـــا للناس بحاله ومقاله.

(١٢) الرفق بالسائل وإدناؤه ،ليتمكن من السؤال غير منقبض ولا هائب.

(١٣) سؤال العالم مالا يجهله السائل،ليعلمه السامع.

(١٤) بيان الإسلام والإيمان والإحسان،وتسميتها كلها دينا.

(١٥) أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه.ولا يعبر بعبارات مترددة بين الجواب والاعتراف بعد م العلم،وأن ذلك لا ينقصه،بل هو دليل على ورعه وتقواه،وعد تكثره بما ليس عنده.

(١٦) أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما،لقول النبي ﷺ في جبريل:((يعلمكم دينكم)) مع أنه لم يصدر منه سوى السؤال.

(١٧) أهمية الحديث تتمثل في أنه ﷺ ذكر فيه مراتب الدين،ففي آخره قال ﷺ" أتاكم جبريل يعلمكم أمور دينكم "

(١٨) السؤال من مفاتيح العلم،فمن استحى منه أو استكبر عنه لا ينال العلم .

(١٩) حضور مجالس الذكر والحرص عليها لما فيها من الفائدة التي قد تفوت .

(٢٠) اليقظة والانتباه في مجلس العلم تفيد في حفظه ونشره،ولذلك حفظ عمر رضي الله عنه الأسئلة بأجوبتها .

(٢١) إذا كان السؤال عاماً،فالأفضل أن تقتصر الإجابة على أهم المهمات،فالسؤال عن الإسلام وخصاله سؤال عام يدخل تحته أعمال الجوارح كلها،لكنه اقتصر على أهم المهمات وهي الأركان .

(٢٢) زرع روح التنافس والحث على علو الهمة عندما ذكر النبي ﷺ أن الإحسان على درجتين إحداهما أكمل من الأخرى .

(٢٣) إذا تحقق القلب بالإيمان انقادت الجوارح لأعمال الإسلام،ولذلك قال المحققون من أهل العلم :" كل مؤمن مسلم " فالمؤمن المقصود به من حقق الإيمان الباطن،فإن جوارحه تنقاد فيعمل .

(٢٤) رحمة الله سبحانه ويتمثل هذا بتنوع أدلة هدايته للناس فأحياناً:

وحي مباشر على النبي ﷺ، وأحياناً يرسل جبريل عليه السلام،وأحياناً على صورة أعرابي،وأحياناً على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وهكذا .

(٢٥) أهل السنة والجماعة يخصون جبريل عليه السلام بمحبة من بين الملائكة الكرام لأنه:

أ ينقل الوحي إلى النبي ﷺ مباشرة {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (١٩٣) سورة الشعراء .

ب ثناء الله عليه سبحانه {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)} [التكوير].

ج مواقفه مع المؤمنين في المعارك ضد الكفار .

د حرصه على تعليم المسلمين دينهم " أتاكم جبريل يعلمكم أمور دينكم " .

(٢٦) النبي ﷺ على مترلته العظيمة إلاّ أن الله لم يطلعه على ما شاء سبحانه من أمور الغيب وحجب عنه أشياء اختص بها كعلم الساعة " ما المسؤل عنها بأعلم من السائل " فمن ادعى علم النبي ﷺ للمغيبات فضلاً عن تصرفه بما لا يقدر عليه إلا الله فقد كذب وافترى .

[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ - بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ:شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ،وَإِقَامِ الصَّـلاَةِ،وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،وَالحَجِّ،وَصَـوْمِ رَمَضَانَ ".رَوَاهُ البُخارِي ومُسلمٌ[٤].

المعنى العام:

يرشدنا النبي ﷺ إلى أن الإسلام مبناه وأساسه على خمسة دعائم لا يصح بدونها وهي:الإقرار لله تعالى بالوحدانية.ولنبيه بالرسالة،والمحافظة على الصلوات الخمس مع القيام بشروطها وأركانها وواجباتها وإعطاء الزكاة لمستحقيها عند وجوبها وصيام شهر رمضان بنية صادقة وأداء فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلا من زاد وراحلة وغير ذلك،وما سوى هذه الخمس فهي من التكميل والتزيين إلا ما خصه دليل بالوجوب فلزام علينا فعله.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) معرفة أركان الإسلام والعمل بها.

(٢) أن هذه الفروض الخمسة فرض على الأعيان المكلفين ولا تسقط بإقامة البعض عن الباقين.

(٣) أن ما سواها كالأعمال الظاهرة متممات ومكملات إلا ما خصه دليل بالوجوب.

(٤) جواز إطلاق رمضان من غير لفظ شهر.

(٦) خصال الإسلام تختلف من حيث الأهمية الشرعية،فبعضها أركان للبناء وهي الخمس وبعضها مستحبات تتم البناء وهكذا .

---

[٤] – صحيح البخاري (١/ ١١) (٨) وصحيح مسلم (١/ ٤٥) ٢٠ – (١٦)

[ش (بني الإسلام على خمس) أعمال الإسلام خمس هي له الدعائم بالنسبة للبناء لا وجود له إلا بها]

(٧) الشهادتان مرتبطتان مع بعضهما البعض لا تكفي إحداهما عن الأخـــرى فأصـــبحا ركناً واحدًا .

(٨) الإسلام دين كامل لا يقبل الزيادة ولا النقصان لقوله " بني الإسلام " فقـــد بـــني واكتمل البناء .قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـــيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]

إِنَّهُ أَكْمَلَ لَهُمُ اليَوْمَ دِينَهُمُ الإِسْلاَمَ، فَلاَ يَحْتَاجُونَ إلى دِينٍ غَيْرِهِ، وَلاَ إلى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ. وَلَمَّا أَكْمَلَ اللهُ لَهُمْ دِينَهُمْ تَمَّتْ عَلَيهِمْ نِعْمَةُ رَبِّهِمْ، فَلْيَرْضَوْا بِالإِسْلاَمِ دِيناً لَهُـــمْ، فَإِنَّـــهُ الدِّينُ الذِي أَحَبَّهُ اللهُ وَرَضِيَهُ لَهُمْ.[٥]

(٩) أمانة الصحابة ودقتهم في نقل الأحاديث ففي رواية أن رجلاً قال " صوم رمضـــان والحج " فقال ابن عمر رضي الله عنه " حج البيت وصوم رمضان هكـــذا سمعتـــه مـــن رسول الله ﷺ فمن لم يقدموا جملة قبل أخرى مع أن المعنى لا يتغير كيـــف يتصـــور أن يغيروا دين الله ويكتموه ؟!! .

(١٠) تشريف النبي ﷺ حيث جمع بين مقامي العبودية والرسالة " عبده ورسوله " .

[٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٦٧٣، بترقيم الشاملة آليا)

عَنْ زَيْد بْنِ وَهْبٍ،قَالَ عَبْدُ اللَّه:حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ وَهُوَ الصَّادقُ الَمصْدُوقُ،قَالَ:" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعينَ يَوْمًا،ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذَلكَ،ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذَلكَ،ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلمَات،وَيُقَالُ لَهُ:اكْتُبْ عَمَلَهُ،وَرِزْقَهُ،وَأَجَلَهُ،وَشَقيٌّ أَوْ سَعيدٌ،ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ،فَإِنَّ الرَّجُلَ منْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّة إِلَّا ذرَاعٌ،فَيَسْبِقُ عَلَيْه كتَابُهُ،فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ،وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذرَاعٌ،فَيَسْبِقُ عَلَيْه الكتَابُ،فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة " رَوَاهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ[٦].

المعنى العام :

في هذا الحديث بيان مبدأ الإنسان في بطن أمه وتنقله من طور إلا طور آخر من مني إلى علقة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح فتسرى في جسمه فيبتدئ بالحركة ويكتب الملك ما له من رزق في دار الدنيا قليلا أو كثيرا حتى يموت ويكتب مقدار عمره ومنتهاه وماذا يعمل من خير وشر ومباح وسعادة وشقاوة،ثم إن الرسول ﷺ بين مال الإنسان بأنه إما إلى جنة أو إلى نار،وجاء ﷺ بمثل يخوف من سوء الخاتمة معناه أن من بني آدم من يعمل كل عمره في طاعة الله فإذا حان قبض روحه أشرك بالله أو كفر فمات فكان من أهل النار وآخر عمل كل عمره بالكفر وفعل

---

[٦] - صحيح البخاري (٤/ ١١١) (٣٢٠٨) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٦)١ - (٢٦٤٣)

[ش (يجمع خلقه) يضم بعضه إلى بعض أو المراد بالجمع مكث البويضة بالرحم بعد تلقيحها بالنطفة. (علقة) دما غليظا جامدا. (مضغة) قطعة لحم قدر ما يمضغ. (شقي أو سعيد) حسب ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته وما علمه سبحانه مما سيكون من هذا المكلف من أسباب السعادة أو الشقاوة. (فيسبق عليه) يغلب عليه. (كتابه) الذي كتبه الملك وهو في بطن أمه]

المعاصي وعند قرب أجله أسلم وتاب وأناب إلى الله تعالى، فمات فصار من أهل الجنـــة فعلى كل مسلم أن يخشى من سوء الخاتمة،نسأل الله حسن الخاتمة.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الإشارة إلى علم المبدأ والمعاد وبيان ما يتعلق بالإنسان وحاله من شـــقاوة وســـعادة وفقر وغنى.

(٢) جواز القسم على الخبر الصادق لتأكيده في نفس السامع.

(٣) التنبيه على صدق البعث بعد الموت،لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهـــين ينقله إلى العلقه ثم إلى المضغة ثم ينفخ الروح فيه،قادر على نفخ الروح فيه بعد أن يصـــير ترابا،وجمع أجزائه بعد تفريغها،ولقد كان قادرا على أن يخلقه دفعة واحدة.ولكن اقتضت الحكمة نقله في الأطوار المذكورة رفقا بالأم،لأنها لم تكن معتادة فكانت المشـــقة تعظـــم عليها،فهيأه في بطنها بالتدريج إلى أن تكامل.ومن تأمل أصل خلقته كان حقا عليـــه أن يعبد ربه حق عبادته،ويطيعه ولا يعصيه..

(٤) إثبات القدر،وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره:خيرها وشرها..

(٥) الحث على القناعة.والزجر على الحرص الشديد،لأن الرزق قد سبق تقد يره،وإنمـــا شرع الاكتساب لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا..

(٧) أنه لا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال لجهالة العاقبة،ومن ثم شرع الدعاء بالثبـــات على الدين وحسن الخاتمة..

(٨) إن التوبة تهدم ما قبلها.

(٩) الشقاوة والسعادة قد سبق الكتاب بهما،وأنهما مقدرتان بحسب خواتم الأعمال،وأن كلا ميسر لما خلق له..

(١٠) أن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر،إلا أن أصحاب المعاصي غـــير الكفر تحت المشيئة.

(١١) منزلة النبي ﷺ في قلوب أصحابه حيث يمدحونه بعبارات الثناء التي تدل على المحبة " الصادق والمصدوق " .

(١٢) فقه ابن مسعود رضي الله عنه لأنه أتى بجملة تناسب الحديث فقال " الصادق والمصدوق ". لأنه مضمون الحديث غيبي لا يرى ولا يعلم إلاّ عن طريق الوحي .

(١٣) عظمة المولى وقدرته،من النطفة يخلق علقة ومنها مضغة ومنها بشرًا سوياً .

(١٤) رحمته سبحانه وحفظه حيث يحفظ تلك النطفة إلى أن تكون علقة ثم يحفظها من كل ما يفسدها إلى أن تكون مضغة ثم يحفظها ويرعاها إلى أن تكون خلقاً آخر .

(١٥) الحديث علاج للكبر فالإنسان الذي تكبر على أوامر ربه سبحانه كان أوله نطفة،ولولا الله لم تكن علقة ولا مضغة ولا لحماً فكيف يتكبر بعد ذلك ؟!.

(١٦) الحث على شكر العبد لربه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى،فمن تأمل في هذه النعم دله ذلك على شكر مولاه .

(١٧) عظمة علم الله الذي يأمر الملك بكتب الأربع كلمات،رغم أن هذا المخلوق لم يخرج من بطن أمه فسبحان من علم متى يخرج ؟ وماذا سيعمل ؟ وكم يعيش ؟ وماذا سيختم له ؟ والله بكل شيء عليم .

(١٨) يبعث الراحة والطمأنينة في مسألة الرزق لأنها كتبت وفرغ منها فلا يحزن المؤمن لفوات رزق لأنه فات لعدم كتابة الله له .عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَأَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ "[٧]

---

[٧] – شعب الإيمان (١٣/ ١٩)(٩٨٩١) صحيح

(١٩) يربي في المسلم الشجاعة لأنه الأجل محدود فلا يتقدم ساعة ولا يتأخر ،وكان علي رضي الله عنه إذا أراد المبارزة في الحرب أنشأ يقول:[٨]

أيّ يوميّ من الموت أفرّ ... يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

(٢٠) هذا الحديث يربي في النفس خوفها من النفاق الأصغر والأكبر ومن الكفر .

(٢١) يزرع المحاسبة والعناية بأمور النفس الباطنة خوفاً من أن تبتلى بمعصية خفية تقـود إلى سوء الخاتمة وَمِنْ هُنَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ يَخَـافُونَ عَلَـى أَنْفُسِهِمُ النِّفَاقَ وَيَشْتَدُّ قَلَقُهُمْ وَجَزَعُهُمْ مِنْهُ، فَالْمُؤْمِنُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ النِّفَاقَ الْأَصْـغَرَ، وَيَخَافُ أَنْ يَغْلِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخَاتِمَةِ، فَيُخْرِجُهُ إِلَى النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ، كَمَـا تَقَـدَّمَ أَنَّ دَسَائِسَ السُّوءِ الْخَفِيَّةِ تُوجِبُ سُوءَ الْخَاتِمَةِ" [٩]

(٢٢) أحكام الدنيا معلقة بالأعمال الظاهرة دون الدخول في النيات،فمن كان ظـاهره الإسلام حكم له به فقد قال ﷺ" فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنـة، وقـال " وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ".

(٢٣) الحرص على أعمال أهل السعادة والثبات عليها والصبر والمجاهـدة إلى أن يمـوت على ذلك فإن الإنسان ميسر لما خلق له .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٨] – العقد الفريد (٦/ ١٢٤)

[٩] – جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ١٧٤)

[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ - تحريم الإحداث في الدين]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ،فَهُوَ رَدٌّ» رَوَاهُ الْبُخارِيُّ ومُسلِمٌ[١٠].

المعنى العام:

يرشدنا هذا الحديث على أن كل من تعبد بشيء لم يشرعه الله ورسوله أو أحدث في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله السنة أو القواعد العامة فإن ذلك مردود على صاحبه وهو آثم في ذلك وكل شيء من المعاملات إذا حدث فيه ما يفسد العقد لمخالفته الحكم الشرعي يجب رده على صاحبه فليحذر كل مسلم الابتداع في الدين وليتمسك بهدي سيد المرسلين ﷺ.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع.

(٢) رد كل محدثة في الدين لا توافق الشرع،وفي الرواية الثانية التصريح بترك كل محدثة سواء أحدثها فاعلها أو سبق إليها،فإنه قد يحتج بعض المعاندين إذا فعل البدعة يقول:ما أحدثت شيئا،فيحتج عليه بالرواية الثانية «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١١]،وينبغي حفظ هذا الحديث،واستعماله في رد المنكرات..

(٣) أن كل ما شهد له شيء من أدلة الشرع أو قواعده العامة ليس يرد بل هو مقبول..

(٤) إبطال جميع العقود المنهي عنها،وعدم جود ثمراتها المترتبة عليها.

(٥) أن حكم الحاكم لا يغير الحقائق فلا يحل حراما ولا يحرم حلالا وإن نفذ ظاهرا.

---

[١٠] - صحيح البخاري (٣/ ١٨٤) (٢٦٩٧) وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣) ١٧ - (١٧١٨)

[ش (أحدث) اخترع. (أمرنا هذا) ديننا هذا وهو الإسلام. (ما ليس فيه) مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها وفي بعض النسخ (ما ليس منه). (رد) باطل ومردود لا يعتد به]

[١١] - صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣) ١٨ - (١٧١٨)

(٦) أن النهي يقتضي الفساد،لأن المنهيات كلها ليست من أمر الدين فيجب ردها

(٧) أن الصلح الفاسد منتقض،والمأخوذ عنه مستحق للرد.

(٨) كمال الشريعة فلا تحتاج إلى زيادة .

(٩) جميع شؤون الحياة يجب أن تكون تحت حكم الشريعة سواءً عبادات أو معاملات،لقوله "كل أمر "

(١٠) المؤمن لا يبتدع لكنه يتبع .

(١١) الحديث أصل في طلب الدليل وإتباعه بعد ثبوته .

(١٢) في أمور العبادة لا يحكم العقل بل لابد من الدليل وهو المراد بقوله " أمرنا " .

(١٣) فيه حث ضمني على طلب العلم حتى يعرف أمر الله ودليله .

(١٤) دل على أن منشأ جميع البدع الجهل بالأدلة .

[الْحَدِيثُ السَّادِسُ - حدود الحلال والحرام]

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ:سَمِعْتُهُ يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:- وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ،وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ،وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ،فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ،وَعِرْضِهِ،وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ،كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى،يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ،أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى،أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ،أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً،إِذَا صَلَحَتْ،صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،وَإِذَا فَسَدَتْ،فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ [١٢]

---

[١٢] - صحيح البخاري (١/ ٢٠)(٥٢) وصحيح مسلم (٣/ ١٢١٩)١٠٧ - (١٥٩٩)

[ش (وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه) أي مدهما إليهما ليأخذهما إشارة إلى استيقانه بالسمع (إن الحلال بين والحرام بين) أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال جماعة هو ثلث الإسلام وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث الأعمال بالنية وحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وقال أبو داود السجستاني يدور على أربعة أحاديث هذه الثلاثة وحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقيل حديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس.

قال العلماء وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها وأنه ينبغي أن يكون حلالا وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغي ترك المشتبهات فإنه سبب لحماية دينه وعرضه وحذر من مواقعة الشبهات وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب فقال ﷺ (ألا وإن في الجسد مضغة الخ) فبين ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه،وأما قوله ﷺ (الحلال بين والحرام بين) فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام حلال بين واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكة والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضة وغير ذلك من المطعومات وكذلك الكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات فيها حلال بين واضح لا شك في حله.وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح وكذلك الزنى والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك.وأما المشتبهات فمعناها أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يدركون حكمها وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة و لم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي فإذا الحقه به صار حلالا وقد يكون دليله غير خال من الإحتمال البين فيكون الورع تركه ويكون داخلا في قوله ﷺ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه (استبرأ لدينه وعرضه) أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام

المعنى العام:

يرشدنا هذا الحديث أن ما أحله الله ورسوله وحزمه الله ورسوله كل بين واضح وإنما الخوف على المسلم من الأشياء المشتبهة التي تخفي على كثير من الناس فمن ترك الأشياء التي ليست واضحة الحل ولا واضحة الحرمة،فقد تم له براءة دينه والبعد عن وقوعه في الحرام وصيانة عرضه عن كلام الناس بما يعيبون عليه بسبب ارتكابه هذا المشتبه،ومن لم يجتنب المشتبهات،فقد عرض نفسه إما في الوقوع في الحرام أو اغتياب.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والشبهات.

(٢) أن للشبهات حكما خاصا بها،عليه دليل شرعي يمكن أن يصل إليه بعض الناس وإن خفي على الكثير..

(٣) المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروءة الإنسانية.

(٤) أن من لم يتوق الشبهة في كسبه ومعاشه فقد عرض نفسه للطعن فيه،ويعتبر هذا الحديث من أصول الجرح والتعديل لما ذكر.

(٥) سد الذرائع إلى المحرمات،وأدلة ذلك في الشريعة كثيرة..

(٦) التنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على إصلاحه،فإن أمير البدن بصلاحه يصلح،وبفساده يفسد.

الناس فيه (ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه) معناه أن ملوك العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه ولله تعالى أيضا حمى وهي محارمه أي المعاصي التي حرمها الله كالقتل والزنى والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشباه ذلك فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئا من المعاصي استحق العقوبة ومن قاربه يوشك أن يقع فيه فمن احتاط لنفسه لم يقاربه و لم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات (ألا وإن في الجسد مضغة) قال أهل اللغة يقال صلح الشيء وفسد بفتح اللام والشين وضمهما والفتح أفصح وأشهر والمضغة القطعة من اللحم سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها قالوا المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب]

(٧) أن العقل في القلب {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الحج: ٤٦]

(٨) إن اختيار طيب الكسب يدلك على صلاح القلب.

(٩) ضرب الأمثال للمعاني الشرعية العملية.

(١٠) أمور الشرع وما أحله وحرمه واضح بين،فليست شريعة الإسلام غامضة لا يفهمها إّلا الخواص،كلا فقد أنزلت بكلام عربي مبين،وهذا في الجملة دون التفصيل .

(١١) الحلال الخالص واضح بين من أراده عرفه ،والحرام الخالص واضح بين لا يجهله أحد .

(١٢) هناك أمور مشتبهة لا يعلمها كثير من الناس فيجب الحذر .

(١٣) فيه فضل العلم،حيث أن العالم تصبح الأشياء كلها عنده بينة " الحرام والحلال والمشتبه . "

(١٤) تفاضل الناس في العلم فقد يكون الأمر فيه شبهة عند شخص لكنه واضح عند آخر .

(١٥) من ترك الشبهات فقد برّأ دينه من الهمز وعرضه من كلام الناس .

(١٦) الحث على أن يبتعد الإنسان عن مواطن التهمة حتى لا يعرض عرضه للنيل منه .

(١٧) براءة الدين من الخدش والعرض من الكلام أمر مقصود في الشريعة لقوله " فقد استبرأ لدينه وعرضه " .

(١٨) المكروهات والإصرار عليها يقود إلى المحرمات فقد قال " ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام " .

(١٩) من أساليب التعليم:ضرب المثال كما قال ﷺ" كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه " .

(٢٠) بيان الشريعة لجميع أمور الحياة الحلال والحرام والمشتبه،فما مات النبي ﷺ إّلا وقد أوضح كل شيء وبينه .

(٢١) يدل الحديث على أن دائرة الحلال أوسع من دائرة الحرام في الشريعة الإسلامية فالمحرم فقط الحمى وأما بعده فحلال .

(٢٢) قوة الله وجبروته سبحانه ولهذا جعل لنفسه حمى،وحمى الملوك على قدر قوتهم والله سبحانه ملك الملوك .

(٢٣) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ صَلَاحَ حَرَكَاتِ الْعَبْدِ بِجَوَارِحِهِ، وَاجْتِنَابَهُ الْمُحَرَّمَاتِ وَاتِّقَاءَهُ لِلشُّبَهَاتِ بِحَسَبِ صَلَاحِ حَرَكَةِ قَلْبِهِ. فَإِذَا كَانَ قَلْبُهُ سَلِيمًا، لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ وَمَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَخَشْيَةُ الْوُقُوعِ فِيمَا يَكْرَهُهُ، صَلَحَتْ حَرَكَاتُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا، وَنَشَأَ عَنْ ذَلِكَ اجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ كُلِّهَا، وَتَوَقٍّ لِلشُّبَهَاتِ حَذَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ. وَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ فَاسِدًا، قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اتِّبَاعُ هَوَاهُ، وَطَلَبُ مَا يُحِبُّهُ، وَلَوْ كَرِهَهُ اللَّهُ، فَسَدَتْ حَرَكَاتُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا، وَانْبَعَثَتْ إِلَى كُلِّ الْمَعَاصِي وَالْمُشْتَبِهَاتِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِ هَوَى الْقَلْبِ.[١٣]

(٢٤) فيه التماس عذر لمن أخطأ من أهل العلم في مسألة من المشتبهات لقوله "وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس " فمن أخطأ فهو معذور لأنه الأمر أصلاً مشتبه .

(٢٥) الوقوع في الشبهات ثم المحرمات نابع من فساد القلب .

(٢٦) الحرص على براءة الدين أهم من الحرص على براءة العرض ولهذا قدمت في الحديث "فقد استبرأ لدينه وعرضه" .

(٢٧) يؤصل الحديث عند المؤمن باب الورع وهو ترك ما قد يضر في الآخرة .

[١٣] – جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٢١٠)

[الْحَدِيثُ السَّابِعُ - الدِّينُ النَّصِيحَةُ]

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا:لِمَنْ؟ قَالَ:«لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رَوَاهُ مُسلمٌ[١٤].

المعنى العام:

يخبرنا النبي الكريم ﷺ أن الدين الحنيف قد أمرنا بإخلاص النصيحة وبأن نؤمن ونعترف بوحدانية الله سبحانه وتعالى ونتزهه عن النقائص ونصفه بصفات الكمال،وأن القرآن كلامه متزل غير مخلوق،نعمل بحكمه ونؤمن بمتشابهه ونصدق الرسول ﷺ بما جاء به ونمتثل أمره ونجتنب ما نهى عنه وننصح لأئمة المسلمين بمعاونتهم على الحق وإرشادهم عما جهلوه ونذكرهم ما نسوه أو غفلوا عنه.ونرشد عامة المسلمين إلى الحق ونكف عنهم الأذى منا ومن غيرنا على حسب الاستطاعة ونأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر والجامع للنصح لهم أن نحب لهم ما يحب كل فرد منا لنفسه.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الأمر بالنصيحة وأنه بولغ فيها حتى جعلت كأنها الدين كله للاعتناء بها.

(٣) إن النصيحة تسمى دينا وإسلاما.

---

[١٤] - صحيح مسلم (١/ ٧٤) ٩٥ - (٥٥)

[ش (الدين النصيحة) قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه فالله سبحانه وتعالى غنى عن نصح الناصح وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابه وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم]

(٣) إن على العالم أن يأتي بالأمر المهم إجمالا ثم يأتي به تفصيلا ليتأهب السامع فيتطلع إلى بيان هذا المجمل فيكون أوقع في النفس وأدعى للقبول.

(٤) إن النصيحة واجبة على كل مسلم لأخيه المسلم في كل حال وزمان ومكان.

(٥) إن النصيحة لأئمة المسلمين مساعدتهم على الحق وإرشادهم فيما جهلوه أو غفلوا عنه والوفاء بعهدهم وامتثال أمرهم على الحق.

(٦) أن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

(٧) أن للعالم أن يكل فهم ما يلقيه إلى السامع ،ولا يزيد له في البيان حتى يسأله السامع لتشوق نفسه حينئذ إليه،فيكون أوقع في نفسه مما إذا هجمه به من أول وهلة.

(٨) ينشر الأخوة بين المجتمع الإسلامي حيث يقوم على التناصح وعدم الغش .

(٩) بين الحديث أن النصيحة في الدين عامة ولا تقتصر على بيان العيوب فقط .

(١٠) شمل الحديث جميع ما يحيط بالشخص من علاقات:

أولاً:مع ربه:وتشمل علاقته مع الله ومع رسوله ﷺ.

ثانياً:مع المخلوقين:وتشمل علاقته مع ولاة أمره ومع عامة المسلمين .

(١١) النصيحة بالمفهوم الشرعي يجب أن تشمل جميع شؤون الحياة سواء العبادات أو العادات " لله ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

(١٢) يوجب الصدق في تعامل المسلم مع ربه،والصدق في تعامله مع المخلوقين .

(١٣) يربي المسلم على إعطاء كل ذي حق حقه من غير أن يطغى جانب على آخر،فحق لله وحق لرسوله وحق لولاة الأمور وحق لإخوانه من المسلمين .

(١٤) يطرد الغش بجميع صوره ودقائق تفاصيله،لأن هذا مقتضى النصيحة .

(١٥) يورث المراقبة وهي من أجل أعمال القلوب،حيث يجعل الشخص ناصحاً في حال سره لأنه يراقب الله سبحانه وتعالى ولهذا لن يغش ولو خلا عن الرقيب البشري .

(١٦) الحديث في صياغته ترتيب الأولويات حيث بدأ بالأهم فالمهم " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم " .

(١٧) يدل على أن المجتمع الإسلامي مجتمع متناصح فيما بينه،سواء في معاملاته أو علاقاته وجميع شؤونه .

(١٨) من أعظم النصيحة للمسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ترك المنكر غش يخالف النصيحة المأمور بها في الحديث.

[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ - الأمر بقتال النَّاسِ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ،وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ،فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ،وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» رَوَاهُ البُخارِيُّ ومُسلِمٌ[١٥].

المعنى العام:

يبين لنا هذا الحديث بأن الله تعالى أمر بقتل الكفار حتى يشهدوا بأن لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له،ولمحمد ﷺ بالرسالة والعمل بمقتضى هذه الشهادة من المحافظة على الصلوات الخمس وإنفاق الزكاة عند وجوبها،فإذا قاموا بهذه الأركان مع ما أوجب الله عليهم فقد منعوا وحفظوا دماءهم من القتل وأموالهم لعصمتها بالإسلام إلا بحق الإسلام بأن يصدر من أحد ما تحكم شريعة الإسلام بمؤاخذته من قصاص أو حد أو غير ذلك،ومن فعل ما أمر به بنية صادقة خالصة فهو المؤمن ومن فعلها تقية وخوفا على ماله ودمه فهو المنافق والله يعلم ما يسره فيحاسبه {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه: ٧].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إن من شرط الإسلام التلفظ بالشهادتين.

(٣) أنه لا يكف عن قتال المشركين إلا بالنطق بهما ، وأما أهل الكتاب فيقاتلون إلى إحدى غايتين:الإسلام،أو أداء الجزية،للنصوص الدالة على ذلك..

---

[١٥] - صحيح البخاري (١/ ١٤) (٢٥) وصحيح مسلم (١/ ٥٣) ٣٦ - (٢٢)

[ش (أقاتل الناس) أي بعد عرض الإسلام عليهم. (يشهدوا) يعترفوا بكلمة التوحيد أي يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام إن كانوا أهل كتاب يهودا أو نصارى. (عصموا) حفظوا وحقنوا والعصمة الحفظ والمنع. (إلا بحق الإسلام) أي إلا إذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام فإنهم يؤاخذون بذلك قصاصا. (وحسابهم على الله) أي فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون]

(٣) مقاتلة تارك الصلاة والزكاة.

(٤) أن الإسلام يعصم الدم والمال،وكذلك العرض،لحديث (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَأَعْرَاضَكُمْ،عَلَيْكُمْ حَرَامٌ،كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،فِي شَهْرِكُمْ هَذَا.....)) الحديث[١٦]..

(٥) دل الحديث على أن الحكم على الناس في الدنيا يكون على ظواهرهم بدون الدخول في نياتهم،ولهذا علق النبي ﷺ عصمة الدم والمال على النطق بالشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكلها أفعال ظاهرة و لم يتعرض للنية بشيء .

(٦) مؤاخذه من أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة بالحقوق الإسلامية،من قصاص أو حد أو غرامة متلف ونحو ذلك..

(٧) ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين شرائع الإسلام.

(٨) أنه لا يجب تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله بهما،فإن النبي ﷺ اكتفى بما ذكر في الحديث و لم يشترط معرفة الأدلة الكلامية،والنصوص المتظاهرة بعدم اشتراطها يحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعي.

(٩) وظيفة الدعاة أنهم مبلغون عن الله كما هي حال النبي ﷺ" أمرت " فهو مأمور بأمر ربه لا من عند نفسه .

(١٠) الاستجابة لله سبحانه،حيث أمر الله رسوله ﷺ فاستجاب . { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنفال: ٢٤]

(١١) الجهاد شرع لإقامة دين الله في الأرض وأن يعبد الله ويوحد لا لمجرد الانتقام ولا للعلو في الأرض والسيادة بل حتى يكون الدين كله لله "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله " .

---

[١٦] – صحيح البخاري (١/ ٣٣)(١٠٥)

(١٢) لا يتوقف الجهاد إلّا إذا دخل الناس جميعاً في دين الله،ولهذا فإن الجهاد الشرعي ماضٍ إلى قيام الساعة لأنه لا يزال الكفار في الأرض . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ "[١٧]

(١٣) الأصل في الإنسان إذا نطق بالشهادتين وصلى وزكى أنه مسلم معصوم الدم والمال إلّا بحق الإسلام .

(١٤) الإسلام واضح المعالم محدد الأهداف،فمن دخل في الإسلام ونطق بالشهادتين وأدى ما عليه أصبح مسلماً وليس الإسلام في ذلك دين غامض غير محدد الأهداف بل يعرف حدود الإسلام العامي الكافر الذي يدعي الإسلام .

(١٥) النفس والمال أحد الضروريات التي جاء الإسلام بحفظها .

(١٦) نيات الناس ترجع لله سبحانه وتعالى يحاسبهم عليها كما قال {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)} [الطارق: ٩، ١٠] وقال في الحديث "وحسابهم على الله " فالله أعلم بصدق الصادق ونفاق المنافق وكل يجزى بنيته في الآخرة .

(١٧) الحديث له أهمية خاصة أيام الفتن،فإذا ادلهمت الخطوب،وأقبلت المحن ،فليتمسك بهذا الحديث فإنه له نجاة بإذن الله،فمن ظهر منه الإسلام قبل منه وأرجعت نيته إلى الله وحسابه عند ربه .

(١٨) فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في أن الأعمال من الإيمان،حيث علق العصمة على النطق بالشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكلها من أعمال الجوارح .

---

[١٧] – سنن أبي داود (٣/ ١٨)(٢٥٣٢) ضعيف

(١٩) عظمة الاعتداء على الأنفس والأموال فالنبي ﷺ لا يملك الاعتداء عليها ما دام أن صاحبها عصم نفسه ولهذا قال " عصموا مني " أي لا أستطيع النيل منها،فمن اعتـــدى بعد ذلك فقد ظلم نفسه .

(٢٠) فيه دليل على أن الإسلام لا يسعى للسيادة والملك والتسلط والجبروت،فـــالأرض كلها لله سبحانه بل يسعى لغاية عظيمة وهدف سامٍ هو دخـــول النـــاس في ديـــن الله وعبادتهم له وذلهم وخضوعهم لعظمته .وهذا كله بخلاف ما تقوم عليه المجتمعات الكافرة في زماننا هذا من مقاتلة للتسلط وللملك وللثروات وللدنيا،وهذا يربي الفخـــر والعـــزة لأهل الإسلام بدينهم .

(٢١) هذا الحديث يحدد ضابط لجهاد الطلب في حال قدرة المسلمين وهو الـــدعوة إلى الله .

[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ - اجتناب المنهيات والعمل بالمأمورات]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ،إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ،وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ [١٨]

المعنى العام:

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين ومن جوامع الكلم،فالرسول ﷺ دلنا على أنه إذا نهانا عن شيء وجب علينا اجتنابه جملة واحدة بدون استثناء،وإذا أمرنا بشيء فلنأت منه ما نطيق و لم يكلفنا بشيء نعجز عنه وهذا من سماحة الدين ويسره حيث إن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها،ثم أشار إلى شيء كالمثل عظة لنا بأن لا نكون كبعض الأمم السابقة حينما أكثروا من الأسئلة على أنبيائهم مع مخالفتهم لهم عاقبهم الله بأنواع من الهلاك والدمار فلا نكون مثلهم فنهلك كما هلكوا {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الأمر بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

(٢) أن النهي أشد من الأمر،لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه،وأمر قيد بالاستطاعة،ولهذا قال بعض السلف:أعمال البر يعملها البار والفاجر،والمعاصي لا يتركها إلا صديق..

---

[١٨] - صحيح البخاري (٩/ ٩٤) (٧٢٨٨) وصحيح مسلم (٢/ ٩٧٥) ٤١٢ - (١٣٣٧)

[ش(دعوني) اتركوني ولا تسألوني. (بسؤالهم) كثرة أسئلتهم. (ما استطعتم) قدر استطاعتكم بعد الإتيان بالقدر الواجب الذي لا بد منه. قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم هذا من قواعد الإسلام ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام]

(٣) أن العجز عن الواجب أو عن بعضه مسقط للمعجوز عنه،لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها،إلا أن المعجوز عنه إن كان له بدل فأتى به فقد أتى بما عليه،كمن عجز عن القيام في الصلاة فانتقل إلى الصلاة قاعدا،أو على جنب،وإن عجز عن أصل العبادة فلم يأت بها كالمريض يعجز عن الصيام سقطت عنه المباشرة حالة العجز،ووجب عليه القضاء بعده.وقد يكون الوجوب منوطا بالقدرة حالة الوجوب فقط،فإذا عجز عنه سقط رأسا كزكاة الفطر لمن عجز عن قوته وقوت عياله..

(٤) النهي عن كثرة السؤال.وقد قسم العلماء السؤال إلى قسمين:أحدهما _ ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين،فهذا مأمور به لقوله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣].

وعلى هذا النوع تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما.والثاني _ ما كان على وجه التعنت والتكلف وهذا هو المنهي عنه.

(٥) تحذير هذه الأمة من مخالفتها لنبيها كما وقع للأمم التي قبلها فيهلكوا كما هلكوا.

(٦) حفظ الشريعة لأفرادها حيث أن الله لم ينه إلّا عما فيه مضرة فأمر باجتناب جميع المنهيات وبدون استثناء .

(٧) يسر الشريعة وسماحتها حيث أن الله في جانب المأمورات أمر بأن يأتي الإنسان ما يستطيعه دون ما لا يستطيعه .

(٨) على المسلم أن يطيع فيترك المنهيات ويفعل ما يستطيع من المأمورات بدون تعنت أو جدال أو مخاصمة في الشرع .

(٩) دل الحديث على أن دائرة المنهيات في الشريعة الإسلامية أقل ولذلك أمرنا باجتنابها جميعها أما المأمورات لكثرتها فلا يستطيع الإنسان الإتيان بها جميعاً فيأتي بما يستطيع .

(١٠) يورث الحديث محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ومحبة دينه حيث لم يكلفنا الله فوق طاقتنا و لم يأمرنا بما لم نستطع " فأتوا منه ما استطعتم " .

(١١) يربي في المسلم العمل وترك الكلام،فالمسلم يفعل ما يستطيع من المأمورات ويترك المنهيات ويجتنب التعنت وكثرة الأسئلة التي لا تغني .

(١٢) الجدال في دين الله وكثرة الأسئلة التعنتية وترك العمل يورث الهلاك حيث أن النبي ﷺ علل هلاك من مضى من الأمم بكثرة الأسئلة والاختلاف على الأنبياء عن طريق المجادلة والمخاصمة .

(١٣) رحمة النبي ﷺ بأمته وخوفه عليها ولذلك كثيرا ما يذكر لهم سبب هلاك الأمم قبلهم ليحذرهم،وقد وصفه الله بقوله {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: ١٢٨]

(١٤) فيه بيان لشرف هذه الأمة على الأمم قبلها حيث أنها استسلمت لأوامر الله و لم تخاصم نبيها و لم تختلف عليه بخلاف الأمم من قبلها كما بينه الحديث .

(١٥) النهي عن كثرة الأسئلة التي لا تورث العمل وإنما يتخذها صاحبها ذريعة في التواني والكسل .

(١٦) فيه إشارة إلى أن المنهيات لا تترك فقط وإنما يؤمر المسلم بالابتعاد عنها وعن الأسباب المؤدية إليها قبل ذلك لئلا يقع فيها،وهذا المفهوم من كلمة " فاجتنبوه " لأنه يعني البعد بخلاف الترك فإنه يعني التخلي ويؤيد ذلك قوله تعالى { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء: ٣٢]، فقد نهى عن مقاربة الزنا ويلزم من ذلك الابتعاد عن كل ما يؤدي إليه .

[الْحَدِيثُ الْعَاشِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَيُّهَا النَّاسُ،إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا،وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا،إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون:٥١] وَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة:١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ،يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ،يَا رَبِّ،يَا رَبِّ،وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ،وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ،وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ،وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ،فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " رواهُ مُسلمٌ[١٩].

المعنى العام:

يفيدنا هذا الحديث بأن الله سبحانه منزه عن النقائص والعيوب موصوف بصفات الكمال،فلا يتقرب إليه بصدقة من حرام أو ما فيه شبهة أو بالرديء من الطعام،وأن الله قد أباح للمؤمنين الأكل من الطيبات.كما أباحه للمرسلين مع العمل الصالح والشكر لله على نعمه.ثم بين الرسول ﷺ أن الله كما يحب الإنفاق من الطيب الخيار لا يحب من الأعمال إلا طيبها،ثم ذكر شيئا كالمثال تحذيرا لأمته من الحرام فقال:إن الرجل يطيل السفر،أي في وجوه الطاعات من حج وجهاد واكتساب معيشة أشعث الرأس مغبر اللون من طول سفره يمد يديه إلى السماء بالدعاء إلى الله والتضرع إليه والتذلل بين يديه،ومع ذلك لا يستجاب له لعدم طيب كسبه حيث أن مطعمه ومشربه حرام،فليحذر كل مؤمن أن يكون بهذه الصفة المانعة من الدعاء.

---

[١٩] – صحيح مسلم (٢/ ٧٠٣) ٦٥ – (١٠١٥)

[ش (إن الله طيب) قال القاضي الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث (ثم ذكر الرجل) هذه الجملة من كلام الراوي والضمير فيه للنبي ﷺ والرجل بالرفع مبتدأ مذكور على وجه الحكاية من لفظ رسول الله ﷺ ويجوز أن ينصب على أنه مفعول ذكر (وغذي) بضم الغين وتخفيف الذال]

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إن الصدقة إذا كانت من حرام لا يقبلها الله.

(٢) الأمر بإخلاص العمل لله عز وجل.

(٣) الحث على الإنفاق من الحلال والنهى عن الإنفاق من الحرام وإباحة الأكل من الطيبات.

(٤) إن الإنسان إذا أكل طيبا قاصدا به القوة على الطاعة وإحياء نفسه فإنه يثاب على ذلك.

(٥) في الحديث بيان شروط الدعاء وموانعه.

(٦) إن من أسباب استجابة الدعاء أكل الحلال واجتناب الحرام.

(٧) استحباب رفع اليدين إلى السماء عند إرادة الدعاء.

(٨) مشروعية الإلحاح في الدعاء وبذكر ربوبيته.

(٩) إباحة أكل الطيبات في شرع من قبلنا من الأمم.

(١٠) أن الأصل استواء الأنبياء مع أممهم في الأحكام الشرعية،إلا ما قام الدليل على أنه مختص بهم.

(١١) أكل الحلال يعين على عمل الصالحات ولهذا قرن الله بينهما ،وأكل الحلال يعين على إجابة الدعاء كما يفهم من الحديث،وأكل الحرام يمنع إجابة الدعاء كما هو منطوق الحديث " فأنى يستجاب له " .

(١٢) أن من أسباب إجابة الدعاء أربعة أشياء:أحدها _ إطالة السفر لما فيه من الانكسار الذي هو من أعظم أسباب الإجابة.الثاني:رثاثة الهيئة،ومن ثم قال النبي ﷺ:«رُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»[٢٠].الثالث:مد اليدين إلى السماء فإن الله حيي كريم،يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفر

[٢٠] – صحيح ابن حبان – مخرجا (١٤/ ٤٠٣) (٦٤٨٣) صحيح

خائبتين.الرابع:الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته،وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء.

(١٣) إثبات صفة الكمال لله سبحانه وتعالى .

(١٤) من صفات الله أنه طيب سبحانه والمعنى أنه " طاهر مقدس متره عن النقائص والعيوب كلها "

(١٥) يجب العناية بالأقوال والأفعال وإزالة كل ما يشوبها ويشينها حتى تكون طيبة يتقبلها الله .

(١٦) تربية المسلم على أن يكون طيباً في قلبه ولسانه وجسده .

(١٧) أكل الحلال وعمل الصالحات أمر الله بها جميع الناس الأنبياء وغيرهم .

(١٨) السفر ومشقته مظنة إجابة الدعاء لظاهر حديث الباب .فصدق الالتجاء والإلحاح والفاقة لله سبحانه تؤثر أعظم الأثر على استجابة الدعاء،ولما كان المسافر الذي يطيل السفر وقد شعثت حاله يدعو باضطرار وإلحاح أثر هذا على إجابة الدعاء .

(١٩) من سنن الدعاء تكرار ألفاظ النداء " اللهم اللهم " " يا رب يا رب " " يا الله يا الله " ثم يسأل حاجته وهو نوع من الإلحاح .

(٢٠) أكل الحرام يورث التمادي فيه فمن أكل الحرام واستمر فإنه بعد ذلك سيكون ملبسه حرام ومشربه حرام وسيتغذى بالحرام.

(٢١) شكر النعم يكون بعمل الصالحات فقد قال لله للمؤمنين {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢] وبين الشكر في حق المرسلين فقال {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١]، والله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين .

(٢٢) كمال الإنسان في الإيمان وبلوغه درجة الولاية لا يسقط التكاليف وترك الأعمال بل يوجب الاجتهاد في العمل ولذلك أمر الله المرسلين مع كمال إيمانهم وعلو درجة

ولايتهم أمرهم بالعمل فقال:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] .

(٢٣) من غنى الله سبحانه عن الناس أنه لا يتقبل إلّا ما كان طيباً طاهرًا كما قال في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ "[٢١]

فمن كمال غناه أنه لا يقبل ما لم يكن خالصاً له سبحانه .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٢١] – صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٩)٤٦ – (٢٩٨٥)

[الْحَدِيثُ الْحَادِيَ عَشَرَ - دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ]

عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ،قَالَ:قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ:حَفِظْتُ مِنْهُ «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ ،فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ،وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ ».رواه النسائي[٢٢].

المعنى العام:

يرشدنا هذا الحديث إلى أن المؤمن يترك ما يشك في حله خشية أن يقع في الحرام وهو لا يشعر بل عليه أن.ينتقل مما يشك فيه إلى ما كان حله متيقنا ليس فيه شبهة ليكون مطمئن القلب ساكن النفس راغبا في الحلال الخالص متباعدا عن الحرام والشبهات وما تتردد فيه النفس.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إن على المسلم أن يبني أموره على اليقين ليكون في أمر دينه على بصيرة.

(٢) النهي عن الوقوع في الشبهات وما تتردد فيلة النفس بين حله أو حرمته.

والحديث أصل عظيم في الورع وقد روى الترمذي من عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ،وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ البَأْسُ»[٢٣].

(٣) استحباب الورع عما كان فيه شبهة حرام وإن كان الأصل الحل.

(٤) الحلال المحض لا يجوز تركه ورعاً لأنه لا ريبة فيه .

(٥) الحرام المحض يجب تركه من باب أولى لأن حرمته لا ريب فيها بل يقين .

(٦) يربي المؤمن على ترك الريب ومواطن الشبه .

---

[٢٢] – السنن الكبرى للنسائي (٥/ ١١٧) (٥٢٠١) وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٦٨) (٢٥١٨) صحيح

[٢٣] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٣٤)(٢٤٥١) حسن

(٧) المؤمن التقي لا يرتاح ويطمئن إلّا إلى الحلال المحض،وأما الفاجر فلا تصيبه ريبـــه في الحرام فضلاً عن الشبهات .

(٨) الحديث قاعدة فيمن احتار بين أمرين أحدهما شاك فيه والآخر عنده يقين،فينبغي أن يفعل اليقين .

(٩) الحديث عام في كل ما يصيب المسلم وليس في جانب الطعام فقط،فمن شك هـــل يجمع الصلاتين أم لا ؟ له أحقيه الجمع أم لا؟ وعنده ريبة في الجمع فلا يجمع لأن تـــرك الجمع لا ريبة فيه وهكذا .

[الْحَدِيثُ الثَّانِيَ عَشَرَ - مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» رَوَاهُ التِّرمذيُّ[٢٤].

المعنى العام:

يفيدنا هذا الحديث أن من لم يترك ما لا يعنيه فإنه ضعيف إيمانه وإن من كمال إيمان العبد تركه ما لا يهمه من الأقوال والأفعال التي ليست من مصالحه وشئونه فعلى الإنسان أن يهتم بالأمور التي تتعلق بحياته وأسباب معيشته وسعادته في معاده،وذلك يسير لمن يسره الله عليه ووفقه فإذا اقتصر الإنسان على ما يعنيه سلم من تبعات ما لا يعنيه.وفي السلامة خير كثير.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن من قبح إسلام المرء أخذه فيما لا يعنيه،وهو الفضول كله على اختلاف أنواعه،فإن معاناته ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يعوض فائته فيما لم يخلق لأجله..

(٢) الحث على الاشتغال بما يعني،وهو ما يفوز به المرء في معاده من الإسلام والإيمان والإحسان،وما يتعلق بضرورة حياته في معاشه،فإن المشتغل بهذا يسلم من المخاصمات وجميع الشرور.

(٣) إن المشتغل بما لا يعنيه ناقص الإيمان.

(٤) يدل على تفاوت الناس في الإسلام فمن حسن إلى أحسن وهكذا .

(٥) يحث على ترقي الإنسان إلى تحسين إسلامه قدر استطاعته .

---

[٢٤] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٥٥٨) (٢٣١٧) صحيح

[ش – (من حسن إسلام المرء) أي من جملة محاسن إسلام الشخص وكمال إيمانه تركه مالا يعنيه من عناه إذا قصده.]

(٦) فيه حفظ لخصوصيات الغير،فيقطع ما تميل إليه النفس من التطلع والبحث في شؤون الغير لأنها لا تعنيه .

(٧) على الإنسان أن ينشغل بنفسه وما يعنيها وإصلاحها ويترك شؤون الناس التي تعنيهم .

(٨) من كمال إسلام المسلم أن يترك ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال .

(٩) فيه تربية على علو الهمة حيث قال في أول الحديث " من حسن إسلام المرء " فكأنه قال هناك منازل عالية في الإسلام ثم بينها ليتسابق الناس إليها .

(١٠) يربي في الإنسان الحرص على ما فيه فائدة له وترك ما لا فائدة لأنه لا يعنيه فلا يحصل من ورائه إلّا التعب وضياع العمر وذهاب حسن الإسلام .

(١١) ترك ما لا يعني من الأقوال يدخل فيه حفظ اللسان عن الباطل واللغو وما لا فائدة فيه.وترك ما لا يعني من الأفعال يدخل فيه ترك المحرمات والمكروهات والمشتبهات وفضول المباحات التي لا تقربه إلى الله سبحانه لأنها ليست مما يوليه المؤمن عنايته وحرصه.

(١٢) فيه تربية للمسلم على حفظ وقته بدل أن يضيع فيما لا يعنيه أمره،فتجده مغتنماً للحظاته وليس لديه وقت،للبحث في شؤون الغير .

(١٣) فيه معجزة للنبي ﷺ حيث أعطي جوامع الكلم ،لأن الحديث ذم الانشغال بأمور كثيرة جدًا كلها داخله تحت جملته تلك ﷺ.

[الْحَدِيثُ الثَّالِثَ عَشَرَ - لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ]

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ،حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».رواهُ البُخاريُّ ومُسلِمٌ [٢٥]

المعنى العام:

يرشدنا هذا الحديث إلى أن على المؤمن كامل الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ومعنى هذه المحبة هي مواساته أخاه بنفسه في جميع الأمور التي فيها نفع سواء دينية أو دنيوية من نصح وإرشاد إلى خير وأمر بمعروف ونهى عن منكر وغير ذلك مما يوده لنفسه فإنه يرشد أخاه إليه وما كان من شيء يكرهه وفيه نقص أو ضرر فإنه يبعده عنه سواء بقوله أو بفعله أو بماله وهذه هي المحبة المرادة في الحديث وليست المحبة البشرية كمحبة الوالد لولده وماله.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن من خصال الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه،ويستلزم ذلك أن يبغض له ما يبغض لنفسه،وبهذا تنتظم أحوال المعاش والمعاد،ويجري الناس على مطابقة قوله تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران:١٠٣]،وعماد ذلك وأساسه:السلامة من الأمراض القلبية،كالحسد وغيره..

(٢) أن يكره لأخيه المسلم من الشر ما يكره لنفسه.

(٣) على الإنسان أن يرشد إخوانه إلى منا ينفعهم ويحذرهم عما يضرهم.

(٤) يخص الحديث علاقة المسلم مع إخوانه ويحددها .

(٥) يزرع الأخوة الحقة بين المسلمين سواءً في لفظه لقوله " أخيه " أو في معناه .

---

[٢٥] - صحيح البخاري (١/ ١٢) (١٣) وصحيح مسلم (١/ ٦٧) ٦٩ - (٤٤)
[ش (لا يؤمن أحدكم) الإيمان الكامل. (ما يحب لنفسه) من فعال الخير]

(٦) تمني الضر لغيره من المسلمين علامة نقص في إيمانه،فليسرع وليستدرك نفسه قبل أن يتفاقم الأمر وينتشر ويجلب أمراض الحسد والغل والحقد .

(٧) فيه بيان ميزة وخصوصية للمجتمع الإسلامي دون غيره،وهي محبة الخير للغير كما يحبه لنفسه تماما.

(٨) يدل على أن تمني الخير للنفس من طبيعة النفس ولا حرج في ذلك إن كان ذلك الخير يقرب إلى الله سبحانه وتعالى،ولهذا قال " ما يحب لنفسه ".

(٩) محبة الخير للغير أمر يجب أن يستمر عليه الإنسان طيلة حياته وهذا المفهوم من صيغة الفعل المضارع " يحب،ويؤمن " لأن المضارع يفيد الحال والاستمرار في المستقبل .

(١٠) الحديث يشمل جميع المؤمنين،فيجب أن تحب لهم الخير حتى أولئك الذين بينك وبينهم عداوات شخصية ومخاصمات دنيوية ولهذا جاء لفظ الحديث عاماً دون استثناء.

(١١) الحديث يدخل في صورة محبة الهداية والاستقامة على أمر الله لمن لم يهتد من أهل المعاصي،فيتمنى لهم الهداية والخير وعمل الصالحات .

(١٢) فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص فمن أحب للمسلمين الخير كمل إيمانه ومن فاته هذه نقص إيمانه على قدر تلك الخصلة،كما هو مفهوم الحديث .

[الْحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَرَ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ]

عَنْ عَبْد اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ،يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّـا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ،إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاث:الثَّيِّبُ الزَّانِي،وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ،وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَـارِقُ لِلْجَمَاعَةِ ".رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ[٢٦]

المعنى العام:

بين لنا النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث أنه لا يجوز إراقة دماء المسـلمين لأن دمـاءهم معصومة بالإسلام وأنه لا يحل دم المسلم إلا بارتكاب واحد في من ثلاث خصال:الزاني ممن سبق أن أحصن ذكرا كان أو أنثى،والقاتل للـنفس المعصـومة يقتـل بشـروط القتل،والمرتد عن الدين المفارق لجماعة المسلمين بترك الإسلام وشعائره سـواء التحـق بالملل الأخرى أم لا بأن جاهر بترك الإسلام،فعلى كل مسلم أن يحافظ على دينه ودمـه وماله ويبتعد عن هذه المحرمات فقد جاء الوعيد الشديد في الآخرة على مـن ارتكـب واحدة منها مع تكفير المرتد نسأل السلامة والعافية من كل بلاء وفتنة.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن دم المسلم لا يباح إلا بإحدى ثلاثة أنواع:ترك ديـن الإسـلام،وقتل الـنفس بالشروط المتقدمة،وانتهاك حرمة الفرج المحرم بالزنى بعد الوطء في نكاح صحيح.

(٢) أن الثيب الزاني يقتل برجمه بالحجارة في كما بين في حديث

---

[٢٦] – صحيح البخاري (٩/ ٥) (٦٨٧٨) وصحيح مسلم (٣/ ١٣٠٢) ٢٥ – (١٦٧٦) [ش (لا يحل دم امرئ مسلم) أي لا يحل إراقة دمه كله وهو كناية عن قتله ولو لم يرق دمه (إلا بإحدى ثلاث) أي علل ثلاث (الزان) هكذا هو في النسخ الزان من غير ياء بعد النون وهي لغة صحيح قرئ بها في السبع كما في قوله تعالى الكبير المتعال والأشهر في اللغة إثبات الياء في كل ذلك (والنفس بالنفس) المراد به القصاص بشرطه (والتارك لدينه المفارق للجماعة) عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام قال العلماء ويتناول أيضا كل خارج عـن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج]

(٣) أن من قتل نفسا عمدا بغير حق يقتل بشروط القتل.

(٤) أن المرتد عن الإسلام يحل قتله.

(٥) أن من لم يعمل شيئا من هذه الثلاث الخصال لا يحل دمه.

(٦) جواز وصف الشخص بما كان عليه أولا،وانتقل عنه لاستثناء المرتد من المسلمين،اعتبارا لما كان عليه قبل مفارقة دينه.

(٧) دم المسلم لا يباح بالشبهات بل لابد من يقين كامل في الزنا وهو ثيب أو قتل نفساً عمداً من غير شبهة أو ترك دين الإسلام .

(٨) الأصل في المجتمع المسلم الإسلام حتى يثبت خلاف ذلك .

(٩) الحديث لم يدل على أن فعل هذه الأشياء بمجردها يبيح الدم لأي أحد أراد إقامة الحد عليه،بل الحديث مقرر قاعدة في الدماء أما تطبيقها فلولي أمر المسلمين أو من يقوم مقامه،بدليل سيرة الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح فلم يثبت أن أحدهم قتل زانياً ثيباً أو قاتلاً لنفس بل كان ذلك يرجع لولي الأمر،وحتى لا تعم الفوضى في المجتمع الإسلامي .

(١٠) الحديث ينفي الأخذ بمجرد التهمة بل لابد من اليقين الثابت ووجود الشروط وانتفاء الموانع .

(١١) فيه بيان عظم هذه الذنوب على وجه الخصوص لأنها استثنيت من القاعدة وأبيح لأجلها الدم .

(١٢) الدين يأمر بالجماعة وينهى عن الفرقة ولذلك قال:" التارك لدينه المفارق للجماعة " فمن ترك دينه فقد فارق الجماعة لأن الدين هو الجماعة .

(١٣) حفظ النفس أحد الضروريات الخمس التي جاء الشرع بحفظها .

(١٤) الحديث ذكرت فيه ثلاث من الضروريات الخمس:

أ حفظ الأعراض " الثيب الزاني " حيث شرعت هذه العقوبة حفظاً للأعراض .

ب حفظ النفس " النفس بالنفس " حيث شرعت هذه العقوبة حفظاً للأنفس .

ج حفظ الدين " التارك لدينه المفارق للجماعة " حيث شرعت هذه العقوبـــة حفظـــاً للدين .

[الْحَدِيثُ الْخَامِسَ عَشَرَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه البخاريُّ ومُسلمٌ [٢٧].

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث إلى مكارم الأخلاق والآداب السامية حيث أنه ينبغي لكل مؤمن إذا أراد أن يتكلم أن يفكر فيما يريد أن يتكلم به فإن كان فيه خير له تكلم به وإلا أمسك عن الكلام لأن كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله وأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو غير ذلك مما يهدف إلى الدين أو قوام أمره،ويأمرنا بإكرام الجار لما فيه من أداء حق،الجار ومكارم الأخلاق التي تدعو إلى كل خير وتدفع كل شر،وإكرام الضيف لأن إكرامه من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) التحذير من آفات اللسان،وأن على المرء أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به،فإذا ظهر له أنه لا ضرر عليه في التكلم به تكلم به،وإن ظهر له فيه ضرر أو شك فيه أمسك،وقد ندب الشارع إلى الإمساك عن كثير من المباحات،لئلا تجر صاحبها إلى المحرمات والمكروهات..

(٣) تعريف حق الجار،والحث على حفظ جواره وإكرامه وجاء في تفسير هذا الإكرام عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ مَخَافَةً عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُؤْمِنٍ،وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ،أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْجَارِ:إِذَا اسْتَعَانَكَ أَعَنْتُهُ،وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ،وَإِذَا افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ،وَإِذَا

---

[٢٧] – صحيح البخاري (٨/ ١١) (٦٠١٨) وصحيح مسلم (١/ ٦٨) ٧٤ – (٤٧)

مَرِضَ عُدْتَهُ،وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ،وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ،وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جِنَازَتَهُ،وَلَا تَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ تَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِه،وَلَا تُؤْذِيه بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا،وَإِنِ اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَاهْدِ لَهُ،فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا،وَلَا يَخْرُجُ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ،أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه مَا يَبْلُغُ حَقُّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ رَحِمَ اللهُ " فَمَا زَالَ يُوصِيهِمْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"[٢٨].

(٣) الأمر بإكرام الضيف لأن إكرامه من آداب الإسلام وخلق الأنبياء والصالحين.

(٤) أن هذه الخصال من شعب الإيمان ومن الآداب السامية..وفي ذلك دليل على دخول الأعمال في الإيمان.والخصال المذكورة في الحديث ترجع إلى التخلي عن الرذيلة،والتحلي بالفضيلة.

(٥) فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في أن الأعمال من الإيمان ولذلك ربط بين الأعمال مع الإيمان بالله واليوم الآخر .

(٦) إن على الإنسان أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة بأي شيء كان من أموره.

(٧) إن الصمت أحسن من الكلام المباح.

(٨) إن من أساء إلى جاره أو لم يكرم ضيفه أو أكثر كلامه بما لا خير فيه أنه ناقص الإيمان.

(٩) فيه توجيه وإرشاد للكلام من عدمه،فمن الإيمان أن يتكلم إن كان الكلام خيرًا ومن الإيمان أن يسكت إن كان السكوت خيرًا.

(١٠) المؤمن لا يتكلم إلّا بخير أو يصمت عن لغو وباطل .

(١١) الشريعة تحرص على كل ما فيه فائدة حتى الكلام أو السكوت .

(١٢) فيه دليل على وجوب حفظ اللسان ليس عن الحرام فقط بل عن كل ما لا فائدة من ورائه .

---

[٢٨] – شعب الإيمان (١٢/ ١٠٤)(٩١١٣ و٩١١٤) ومكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٩٤)(٢٤٧) والمعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٤١٩) (١٠١٤) حسن لغيره

(١٣) الحديث يشمل حقوق الله وحقوق الناس:

فالكلام بالخير والصمت عن غيره من حقوق الله . وإكرام الضيف والجار من حقـــوق الناس .فالإسلام يربي أهله على إعطاء الحقوق وعلى تنوعها .

(١٤) يدل على أن قول الخير أو الصمت عن الشر وإكرام الجار والضيف من الإيمان .

(١٥) الإسلام يحارب البخل ولذلك كررت كلمة " فليكرم " مرتين في الحـــديث لأن البخل يجمع الصفات عديدة كحب الدنيا وسوء الظن بالله والشح .

(١٦) هذا الحديث فيه دعوة لحسن الأخلاق فإكرام الجار يكون بذلك .

(١٧) الإكرام يشمل صورًا عديدة منها:السلام الإحسان البذل التقدير الاحترام حفظ غيبته ستر عورته النصح عدم أذيته الزيارة العفو المشي في حاجته إدخال السرور عليـــه القيام بواجبه،فكلها دخلت في كلمة " إكرام " .

(١٨) الإسلام يقوي الروابط بين أهله وأتباعه،فرابطة أخوة الإسلام ثم القرابة والنسب ثم الجار ثم الضيافة ،وهذا ليصبح المجتمع الإسلامي،مجتمعاً قوياً من الداخل يصعب اختـــراق صفوفه وشق عصاهم،فتندحر فتنة الشيطان بالتفريق بينهم وفتنة الأعداء في الوصول لهم.

(١٩) الإسلام يربط همة أتباعه بالجائزة العظمى وهي تحقق الإيمان،فلم تكن الجائزة لمـــن قال خيرًا أو أكرم جاره وضيفه جائزة دنيوية لأن همة المؤمن أعلى من ذلك بل الجـــائزة هي " الإيمان بالله واليوم الآخر " .

(٢٠) في تعليق الناس بالإيمان بالله واليوم الآخر تأصيل لمترلة مراقبة الله في قلوبهم .

(٢١) قول الخير أفضل من الصمت عن الشر لأن قول الخـــير يتعـــدى بنفســـه،بخلاف الصمت لا يتعدى،ولهذا والله أعلم بدأ فيه فقال:" فليقل خيرًا أو ليصمت " .

[الْحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَرَ - لَا تَغْضَبْ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:أَوْصِنِي،قَالَ:«لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا،قَالَ:«لاَ تَغْضَبْ».رواهُ البُخاريُّ[٢٩].

المعنى العام:

في هذا الحديث يوصينا النبي الكريم ﷺ بأن نترك الغضب لأنه من طباع الشيطان فلا ننفذ آثاره فيحصل لنا بسببه أضرار عظيمة إما عاجلا أو آجلا بل نمسك عن الغضب وعن مقتضياته وندفعه بالتخلق بالحلم والرفق والأناة ففي ذلك خير كثير ولو لم يحصل من أضرار الغضب إلا تغير لون الوجه وشدة الحركة في الأطراف وربما ينطلق لسان صاحبه بالشتم والفاحش من القول وربما جنى على أحد بالضرب أو القتل فتسوء حاله عاجلا وآجلا لكفته هذه العقوبات لهذه الآثار وغيرها،لذا أوصى النبي ﷺ السائل وكرر عليه بأن لا يغضب.

من أسباب دفع الغضب:

١- يتذكر الإنسان فضل كظم الغيظ.

٢- يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

٣- يتوضأ.

٤- يغير الحالة التي هو عليها،فإن كان قائما جلس أو جالسا اضطجع

٥- يتذكر غضب الله وأن انتقامه فوق ذلك فيخاف الله.

وغير ذلك مما يعالج به الإنسان نفسه من الغضب،واتقاء أثاره السيئة،نعوذ بالله من الغضب السيء.

ما يرشد إليه الحديث:

---

[٢٩] - صحيح البخاري (٨/ ٢٨) (٦١١٦) [(رجلا) هو جارية بن قدامة رضي الله عنه. (مرارا) كرر طلبه للوصية مرات]

(١) التحذير من الغضب فإنه جماع الشر،والتحرز منه جماع الخير،وفي هـــذا الوصـــية استجلاب المصلحة،ودرء المفسدة ما يتعذر إحصاؤه،فإن الغضب يترتب عليه من المفاسد تغير الظاهر والباطن والأثر القبيح في اللسان،أما تغير الظاهر،فبتغير اللـــون والرعـــدة في الأطراف،وخروج الأفعال من غير ترتيب،واستحالة الخلقة،بحيث لو رأى الغضبان نفسه لاستحيا من قبح صورته،وأما الباطن أشد،لأنه يولد الحقد في القلب والحسد،وإضـــمار السوء على اختلاف أنواعه،بل تغير ظاهره ثمرة تغير باطنه،وأما أثره في اللسان فانطلاقـــه بالشتم والفحش الذي يستحى منه العاقل،ويندم قائله عند سكون الغضب،ويظهر أثـــر الغضب أيضا في الفعل بالضرب أو القتل،وإن فات ذلك بهروب المغضوب عليه رجـــع الغضبان إلى نفسه فيمزق ثوبه،ويلطم خده،وربما سقط صريعا،وربما أغمى عليـــه،وربما كسر الآنية،أو ضرب من ليس له جريمة في ذلك..

(٣) الأمر بالأخلاق التي إذا تخلق بها المرء وصارت له عادة دفعت عنه الغضـــب عنـــد حصول أسبابه،كالكرم والسخاء،والحلم والحياء،والتواضـــع والاحتمـــال،وكف الأذى ،والصفح والعفو،وكظم الغيظ والشر،ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة..

(٣) الصبر على ما يصيب الإنسان في هذه الدنيا وأن يعامل الناس معاملة حسنة.

(٤) معالجة كل ذي مرض بما يناسب مرضه،إن صح أن النبي ﷺ خص هذا الرجل بهذه الوصية.لأنه كان غضوبا.

(٥) على الإنسان أن يطلب الوصية ممن يكون أهلاً لها،ولذلك طلب الرجل الوصية من النبي ﷺ .

(٦) صيغة السؤال تدل على أهمية الحديث لأن الرجل بادر فطلب الوصية،ثم إن لفـــظ الوصية بحد ذاته يتضمن نصيحة جامعة نافعة فعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَتَى النَّبِيَّ

ﷺ فَقَالَ: أَوْصِنِي بِكَلِمَاتٍ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ، قَالَ:«اجْتَنِبِ الْغَضَبَ» فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اجْتَنِبِ الْغَضَبَ»[30]

(٧) ينبغي في حال النصيحة اختيار الكلمات المختصرة التي تناسب الحال،لأن ذلك أنفع ،كما فعل النبي ﷺ مع الرجل .

(٨) صيغة ترديد السؤال وترديد الجواب تدل على خطورة الغضب .

(٩) لفظ الحديث أطلق و لم يقيد " لا تغضب " و لم يذكر الأشياء التي لا يغضب فيها،والذي يظهر أن هذا الإطلاق مقصود وذلك حتى يشمل جميع أمور الحياة فلا يغضب من زوجته ولا أولاده ولا تعامله ولا جيرانه ولا تجارته ولا غير ذلك .

(١٠) في الحديث دعوة لحسن الأخلاق،وذلك أنه لا تفسد الأخلاق بمثلما تفسد بالغضب،قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ. وَقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: اجْمَعْ لَنَا حُسْنَ الْخُلُقِ فِي كَلِمَةٍ، قَالَ: تَرْكُ الْغَضَبِ.[31]

(١١) الشريعة تدعو لأن يتحكم الشخص بعاطفته فيجعلها تحت سلطان الشرع وحتى في حال الغضب الذي قد لا يملك الإنسان نفسه .

(١٢) يدل الحديث على أن الغضب لا يحل المشاكل ولا ييسر الأمور بل يزيد تعقيدها،ولو كان الغضب حلاً لأوصى به ﷺ.

(١٣) قوله " لا تغضب " تحتمل معنيين:الأول:جاهد نفسك لئلا يقع الغضب أصلاً .الثاني:أمسك نفسك إذا وقع الغضب فلا تقع في فعل تندم عليه .وظاهر الحديث يتوجه للمعنى الأول لأنه خطوة للثاني فإن لم يقع الغضب أصلاً فهذا أفضل .

(١٤) يدل الحديث على أن الغضب يمكن التخلص منه ولو كان من صفات الشخص الذاتية ،فلو لم يمكن التخلص منه لم ينه النبي ﷺ عنه .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[30] - مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٨)(٩٧٢) صحيح

[31] - جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٣٦٣)

[الْحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَرِ -إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ]

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ،قَالَ:ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ،وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ،وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ،فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».رواهُ مُسلم[٣٢].

المعنى العام :

في هذا الحديث قاعدة نافعة وهي الإحسان في كل شيء يستولى عليه الإنسان سواء أدميا أو حيوانا فالله تعالى قد فرض عليه الإحسان حيث يقدره الله على أي مخلوق ثم إن الرسول ﷺ أتى بمثلين مثل بني آدم ومثل في الحيوانات لنأخذ من هذين المثلين نبراسا نستضيء به عند كل شيء يحتاج إلى الرفق واللين والإحسان فقال:"إذا قتلتم فأحسنوا القتلة"أي بأن تختاروا ما هو أخف وأسرع إزهاقا للروح ليستريح المقتول:"وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة"بأن تذبحوا بآلة حادة مع الرفق بالحيوان لتستريح الذبيحة بدون تعذيب، {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين لشمول الإحسان إلى كل شيء.

(٢) الأمر بالإحسان وهو في كل شيء بحسبه،فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة :الإتيان بها على وجه كمال واجباتها،فهذا القدر من الإحسان فيها واجب،وأما الإحسان بإكمال مستحباتها فمستحب،والإحسان في ترك المحرمات:الانتهاء عنها وترك

---

[٣٢] - صحيح مسلم (٣/ ١٥٤٨) ٥٧ - (١٩٥٥)

[ش (القتلة) بكسر القاف وهي الهيئة والحالة (وليحد) يقال أحد السكين وحددها واستحدها بمعنى شحذها (فليرح ذبيحته) بإحداد السكين وتعجيل إمرارها وغير ذلك ويستحب أن لا يحد السكين بحضرة الذبيحة وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى ولا يجرها إلى مذبحها]

ظاهرها وباطنها،وهذا القدر منه واجب،والإحسان في الصبر علـــى المقدورات،الصـــبر عليها من غير تسخط،ولا جزع.والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم:القيـــام بما أوجب الله من حقوقهم.والإحسان الواجب في ولاية الخلق:القيام فـــيهم بواجبـــات الولاية المشروعة.والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الدواب:إزهاق نفسه على أســـرع الوجوه وأسهلها وأرجاها،من غير زيادة في التعذيب،فإنه إيلام لا حاجة إليه..

(٣) إعداد الآلة الحادة عند إرادة ذبح الحيوان والرفق به عند ذبحه.

(٤) النهي عما كانت عليه الجاهلية من التمثيل في القتل بجدع الأنـــوف وقطـــع الآذان والأيدي والأرجل،ومن الذبح بالمدى الكالة ونحوها مما يعـــذب الحيـــوان،ومن أكلـــهم المنخنقة،وما ذكر معها في آية المائدة..

(٥) فيه دليل على رحمة الله سبحانه ولأجل ذلك كتب الإحسان على كل شيء وهـــذا يورث محبته سبحانه .

(٦) فيه سماحة الشريعة ويسرها حيث بنيت على الإحسان والإتقان .

(٧) قوله " كتب " تدل على وجوب الإحسان .

(٨) الإحسان فيه معنى الإتقان،فالإحسان في الذبيحة إتقانها بحيث لا تطـــول فتتعـــذب .وكذلك الإحسان في كل شيء إتقانه بحسبه .

(٩) من أساليب التعليم:ذكر قاعدة ثم ضرب مثال لها أو مثالين . فالقاعدة في الحـــديث "إن الله كتب الإحسان على كل شيء ".والمثالان هما " إذا قتلتم فأحسنوا القتلـــة،وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة " .

[الْحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَرَ - اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ..]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ:«اتَّقِ اللَّه حَيْثُمَا كُنْتَ،وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا،وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».رواه التِّرمذيُّ[٣٣].

المعنى العام :

يوصينا النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث بتقوى الله في السر والعلانية حيثما كان العبد في بر أو بحر أو أرض أو جو وخاليا وحده أو مع الناس وإذا أذنب العبد ذنبا فليتبعه بما يمحوه من التوبة والاستغفار: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤] وأن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به من طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل النصح لتتألف القلوب وتكمل المحبة وتجتمع كلمة المسلمين.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الأمر بتقوى الله،وهو وصية الله لجميع خلقه،ووصية الرسول ﷺ لأمته..

(٢) إن الإتيان بالحسنة عقب السيئة يمحو السيئة.وهذا من فضل الله تعالى على عبده،فإنه لا بد أن يقع منه أحيانا تفريط في التقوى:إما بترك بعض المأمورات،أو بارتكاب بعض المحظورات،فأمره الله بفعل ما يمحو ذلك التفريط،وهو أن يتبعه بالحسنة..

(٣) الترغيب في حسن الخلق،وهو من خصال التقوى التي لا تتم التقوى إلا به،وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه،فإن كثيرا من الناس يظن أن التقوى بمجرد القيام بحق الله دون حقوق عباده،وليس الأمر كذلك،بل الجمع بين حقوق الله وبين حقوق عباده هو المطلوب شرعا،وهو عزيز لا يقوى عليه إلا الكمل..

(٤) المداومة على التقوى والاتصاف بها في كل حال وزمان ومكان.

---

[٣٣] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣٥٥) (١٩٨٧) صحيح لغيره

(٥) يجمع الحديث ثلاثة حقوق: الحق الأول:حق الله في قولـــه " اتـــق الله " . الحـــق الثاني:حق النفس في قوله " واتبع السيئة الحسنة تمحها " . الحق الثالث:حق الناس في قوله " وخالق الناس بخلق حسن " .

(٦) تقوى الله ليس لها زمن تتقيد به وتقف عنده بل عند الإنسان المؤمن تجب في كـــل اللحظات.

(٧) قوله " اتق الله حيثما كنت " تأصيل لمراقبة الله سبحانه في السر والعلن .

(٨) الشريعة تحرص على أن يوجد عند الشخص رادع وزاجر من نفسه تحول بينه وبين المحرمات وهي " تقوى الله " .

(٩) ظاهر الحديث أن تقوى الإنسان لا تعصمه من وجود زلات سرعان ما يتبصر فيها المتقي ويرجع إلى حالٍ أفضل من حال قبل الذنب وهذا الظاهر يؤخذ من قوله " وأتبـــع السيئة الحسنة تمحها "بعد قوله " اتق الله حيثما كنت " .

(١٠) بيان رحمة الله سبحانه بعبادة،وذلك بفتح أبواب لمحو السيئات ومنها الاســـتغفار ومنها فعل الحسنات كما في الحديث .

(١١) فيه حث على مجاهدة النفس فمن فعل سيئة فليتبعها بحسنة فإن عاد للذنب فعـــل الحسنة وهكذا .

(١٢) على الإنسان أن لا يستسلم للذنوب فمن أذنب فلا يعني سقوطه وإبعاده أو أنـــه يرضى بما هو عليه بل يحاول التخلص ويفعل الخير ويتوب ويرجع إلى ربه وفي ذلك رفع للمعنوية وشحذ للهمة .

(١٣) فضل فعل الحسنات والصالحات أنه يرفع الدرجات ويكفر السيئات .

(١٤) يربي الحديث في المسلم الخوف والرجاء،فتقوى الله تربي في المسلم الخـــوف،وفتح باب التوبة . وتكفير السيئات يربي في المسلم الرجاء وهما مترلتان عظيمتان من منـــازل أعمال القلوب .

(١٥) يسعى الإسلام لتربية أهله على زوال العداوات بينهم وهو المقصود من قوله "وخالق الناس بخلق حسن " .

(١٦) تقوى الله تشمل القيام بحقوق الله وحقوق الناس ولذلك قال في الحديث " وخالق الناس بخلق حسن " قال ابن رجب رحمه الله:" وَإِنَّمَا أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ لِلْحَاجَةِ إِلَى بَيَانِه، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ الْقِيَامُ بِحَقِّ اللَّهِ دُونَ حُقُوقِ عِبَادِه، فَنَصَّ لَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الْعِشْرَةِ لِلنَّاسِ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ مُعَلِّمًا لَهُمْ وَمُفَقِّهًا وَقَاضِيًا، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مُخَالَقَةِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِمَّا لَا حَاجَةَ لِلنَّاسِ بِهِ وَلَا يُخَالِطُهُمْ، وَكَثِيرًا مَا يَغْلِبُ عَلَى مَنْ يَعْتَنِي بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَالِانْعِكَافِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَإِهْمَالِ حُقُوقِ الْعِبَادِ بِالْكُلِّيَّةِ أَوِ التَّقْصِيرِ فِيهَا، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ عَزِيزٌ جِدًّا لَا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا الْكُمَّلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ. " [٣٤].

(١٧) يربي في النفس المبادرة في الفعل وألا يكون الشخص تبعاً لغيره،ولذلك أمره أن يبادر في فعل الحسنة وأن يبادر في معاملة الناس بخلق حسن .

(١٨) الأخلاق الحسنة في الشريعة تبذل مطلقاً سواءً أحسن الناس إليك أو أساءوا ولذلك لم يقيدها النبي ﷺ بأنها لا تبذل إلا لمن أحسن إليك بل جعلها عامة فقال:" وخالق الناس " أي جميعاً من أحسن ومن أساء .

(١٩) بدلالة الحديث فإن أهل الإسلام أولى بالأخلاق الحسنة من غيرهم من الأمم ،وأهل السنة والجماعة على وجه الخصوص أولى من غيرهم من الطوائف .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٣٤] - جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٤٥٤)

[الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ - احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا،فَقَالَ:«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ،احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ،رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رواه الترمذيُّ[٣٥].

المعنى العام :

في هذا الحديث الوصية العظيمة من الرسول ﷺ حيث أرشد بحفظ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه.وأن الله يحفظ من قام بذلك في حركاته وسكناته،وفي دنياه وآخرته،وأن الله سبحانه أمام العبد يعلم ما هو عليه،فلا يعلق العبد أموره وحاجاته بغير الله.بل يستعين بالله ويتوكل عليه في جميع أحواله وأموره إلا ما كان يقدر عليه الخلق.فيسأل الله سبحانه بأن يعطف عليه قلوبهم لينفعوه بما يقدرون عليه،وأن الناس لو اجتمعوا كلهم وحاولوا بأقوالهم وأفعالهم على أن يجلبوا له نفعا أو يدفعوا عنه ضررا أو يخبروه لم يستطيعوا ضرره ولا نفعه إلا بأمر كتبه الله له أو عليه.وأن الإنسان إذا أطاع الله في الرخاء فإن الله يجعل له عند الشدة فرجا ومخرجا، وليرض كل عبد بما قدره الله عليه من خير وشر.ومع الشدائد والمحن يلتزم العبد الصبر،فإن الصبر مفتاح الفرج {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح].، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } [الطلاق: ٢]

ما يرشد إليه الحديث:

(١) جواز الإدراف على الدابة إذا كانت تطيق.

---

[٣٥] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٦٧)(٢٥١٦) صحيح

(٣) الأمر بالمحافظة على حقوق الله وحقوق المخلوقين.

(٣) أن الجزاء قد يكون من جنس العمل.

(٤) الأمر بالاعتماد على الله،والتوكل عليه دون غيره،إذ هو النافع الضار،قال الله تعالى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس:١٠٧] وقدر ما يركن الشخص إلى غير الله عز وجل بطلبه،أو بقلبه أو بأمله قد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه،خصوصا إذا كانت الحاجة التي يسألها مما لم تجر العادة بجريانه على أيدي الخلق كالهداية،وشفاء المرض،وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة،ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل..

(٥) عجز الخلائق كلهم،وافتقارهم إلى الله عز وجل..

(٦) التنبيه على أن دار الدنيا دار بلاء وامتحان فينبغي الصبر والرضى بالقضاء والقدر.

(٧) إن الخلق كلهم لو اجتمعوا على أن يخسروا أحدا أو ينفعوه لم يستطيعوا شيئا لم يقدره الله له أو عليه.

(٨) إن الله ينصر الصابر، وأن مع كل ضيق فرجا ومخرجا {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}.

(٩) ذكر المعلم للمتعلم أنه يريد أن يعلمه قبل فعله،ليشتد شوقه إلى ما يعلم وتقبل نفسه عليه.

(١٠) فيه حث على التواضع لإردافه ﷺ خلفه و لم يستأثر بالدابة دون غيره .

(١١) فيه دلالة على اللين والملاطفة لاختيار ابن عباس الشاب الصغير رضي الله عنهما،بل ومحادثته في الطريق وتوصيته،وصدق الله إذ وصفه بقوله:{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران: ١٥٩]

(١٢) الاهتمام بتربية الصغار وهذا واضح من ظاهر الحديث .

(١٣) اختيار الجمل القصيرة في حال تعليم الصغار ليكون أسهل في الحفظ .

(١٤) بذل العلم للكبير والصغير لكن على قدر ما ينتفع به المتلقي،ولا يأنف الإنسان الذي آتاه الله علماً من تعليمه للصغار أو من هو دوناً منه .

(١٥) ينبغي أن يذكر مقدمة مناسبة قبل التعليم تشوق المستمع لما يقال،كما فعل ﷺ في رواية هذا الحديث حيث قال " أعلمك كلمات ينفعك الله بهن "،لأن ابن عباس رضي الله عنهما إذا سمع ذلك شحذ همته ليحفظهن ويعمل بهن .

(١٦) استغلال الوقت بما يفيد ففي حال ركوب ابن عباس رضي الله عنهما خلف النبي ﷺ حرص ﷺ أن يقطع الوقت بما يفيد من تعليم أو تذكير .

(١٧) فيه الاهتمام بأمر العقيدة،فهذه الكلمات جميعها من أمور العقيدة .

(١٨) الجزاء من جنس العمل،فمن حفظ الله حفظه الله،ومن استعان بالله أعانه سبحانه .

(١٩) من تعلم هذه الكلمات انتفع بإذن الله لقوله ﷺ" أعلمك كلمات ينفعك الله بهن " فهذا يعطي أهمية للحديث .

(٢٠) يربي الحديث الاعتماد على الله سبحانه والتعلق به ورجاءه دون غيره .

(٢١) يقرر الحديث الأعمال القلبية من التوكل والاستعانة والتعلق والخوف والرجاء لأنها حياة الإنسان وأصل العقيدة .

(٢٢) من أراد حفظ الله من المكروهات والشرور والضرر فإضافة للأسباب المادية على الإنسان أن يحفظ أوامر الله .

(٢٣) من يحفظ أوامر الله يحصل على ثمرتين عظيمتين:

الثمرة الأولى:يحفظه الله من كل مكروه لقوله في جواب الشرط " يحفظك " .

الثمرة الثانية:يعينه الله في أموره المستقبلية ويجلب له الخير لقوله"احفظ الله تجده تجاهك ".

(٢٤) فيه تفسير لمعية الله الخاصة لعبادة المؤمنين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ،وهذه المعية الخاصة في قوله " تجاهك " " أمامك " " يحفظك " " يعرفك في الشدة " .

(٢٥) صلاح الدنيا والآخرة للشخص على قدر حفظه لحـــدود الله،ولـــذلك قـــال في الحديث " احفظ الله يحفظك " وأطلق و لم يقيد الحفظ في المال أو الولـــد أو الصـــحة أو الدين،وهذا الإطلاق حتى يشمل جميع ذلك .

(٢٦) إثبات اسم الله " الشكور " حيث أن من معانيه أنه يشكر العبد على أعماله فيعينه عليها أولاً ثم يتقبلها منه ثانياً ثم يجزيه عليها في الدنيا والآخرة فمن جزائه في الدنيا أنـــه يحفظ العبد وييسره له كل عسير وهذا من شكره سبحانه وتعالى لعبده .

(٢٧) التوجه والسؤال والحاجة لا تترل إّلا بالله وحده،فهو الذي يعطي ويمنع"إذا سألت فاسأل الله " .

(٢٨) قوله " إذا سألت فاسأل الله،وإذا استعنت فاستعن بالله " مرادف لقوله " { إِيَّـــاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] فإن السؤال عبادة لله .

(٢٩) جاء النص على السؤال دون غيره " إذا سألت فاسأل الله " لأن الســـؤال يجمـــع مقامات عالية منها :الذل والافتقار والتوجه والمسكنة والخروج من الحول والقوة وإنزال الفاقة بالمسؤول وإحسان الظن به ،واتهام النفس بالقصور،ومعرفة قدرها وأنها لا تملـــك ضرًا ولا نفعاً .

(٣٠) من إحسان الله سبحانه أنه ييسر العبادة للشخص ثم يعينه عليهـــا ثم يجازيـــه بها والشخص لا حول له ولا قوة إّلا بإعانة المولى سبحانه فله الفضل أولاً وآخراً .

(٣١) يدل الحديث على أن الشخص ضعيف لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة،حتى إعانتـــه نفسه على ما يريد لا يقدر عليه إّلا بإعانة المولى سبحانه .

(٣٢) من أهداف الحديث تقرير مسألتين عظيمتين:الأولى:فقر الإنسان لربه،وأنه لا غنى له عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك وقطع الرجاء بالمخلوقين .الثانية:غنى الله عن جميـــع المخلوقين وكماله بذاته سبحانه .

(٣٣) الكلمات التي تعلمها ابن عباس رضي الله عنهما تربي القوة والشجاعة في النفس،فمن نزَّل مسألته بالله دون غيره واستعان به وحده،وعلم أن ما أصابه لا يخطؤه وما أخطأه لا يصيبه أصبح قوياً في حجته ودعوته وسائر حياته .

(٣٤) المؤمن الصادق يعبد الله في كل أحيانه،الرخاء والشدة ولذلك أوصى النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما فقال: " تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ "[٣٦] ،وليس كحال المشركين الذي قال الله عنهم {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: ٦٥].

(١٥) الاستعانة من أعمال القلوب التي يجب صرفها لله،ومن صرفها لغير الله فقد أشرك وخذل لأن من استعان بغير الله وكله الله إليه فلا يستطيع نفعه،بل يضره لفوات إعانة الله عنه ولذلك قال " وإذا استعنت فاستعن بالله " .

(١٦) قوله " إلّا بشيء كتبه الله لك " وقوله " إلّا بشيء كتبه الله عليك " لا يعارض العمل ولا يدل على ترك العمل،بدليل أول الحديث " إذا سألت فاسأل الله،وإذا استعنت فاستعن بالله "فسؤال الله والاستعانة به هي من عمل الشخص يجازيه الله بها .

(١٧) الحديث يشمل أعمال الجوارح وأعمال القلوب،فالسؤال والدعاء من أعمال الجوارح،والاستعانة من أعمال القلوب،وكلا الأمرين من أركان الإيمان .

(١٨) يقرر الحديث الرضا بأقدار الله،وهي مترلة أعلى من مترلة الصبر .

(١٩) يقرر الحديث اليقين بالله سبحانه وأفعاله .

(٢٠) تقرير لمذهب أهل السنة والجماعة أن مشيئة الله هي النافذة،وترجع مشيئة العبد إليها .

(٢١) يربي عظمة الله سبحانه في قلوب المؤمنين،فمن تأمل قدرته الباهرة،ومشيئته النافذة وأن ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن عرف ذلك .

---

[٣٦] - شعب الإيمان (٢/ ٣٥٠) صحيح

(٢٢) النصر مع الصبر،وهذا في جميع الأمور فمن صبر وصابر على مجاهدة نفسه وجهاد العدو وعبادة ربه وعلى حياته انتصر بإذن الله .

(٢٣) الاستعجال والجزع لا يأتي بالنصر،وهذا من مفهوم الحديث لأنه علـــق النصـــر بالصبر .

(٢٤) إذا اشتد الأمر وزاد الكرب،وانغلقت جميع الأبواب،كان هذا بإذن الله دليل على الفرج لقوله " وأن الفرج مع الكرب " .

(٢٥) الحديث يربي في النفوس عدم اليأس من روح الله،وفرجه،وحسن الظن به حتى لو اشتد الأمر لأن الفرج لا يأتي إلّا بعد الكرب .

(٢٦) قوله " واعلم أن الفرج مع الكرب " عام في جميع شؤون الحياة،ففيه بشارة لمـــن أصابه هم وغم وتراكمت عليه الأحزان أن فرج الله قريب .

(٢٧) قال ابن رجب رحمه الله :"وَمِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرَجِ بِـــالْكَرْبِ وَالْيُسْـــرِ بِالْعُسْرِ: أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وَحَصَلَ لِلْعَبْدِ الْإِيَاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَـــةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَـــمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطْلَبُ بِهَا الْحَوَائِجُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، كَمَا قَـــالَ تَعَـــالَى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣] [الطَّلَاقِ: ٣] "[٣٧].

(٢٨) يدل ظاهر الحديث على أن حال الدنيا يدور بين عسر يتبعه يسر،وكرب يتبعـــه فرج حيث خلق الله الدنيا على نكد وعدم صفو،فمن عرف حالها لم يطمئن لها .وَهَـــذَا الْحَدِيثُ يَتَضَمَّنُ وَصَايَا عَظِيمَةً وَقَوَاعِدَ كُلِّيَّةً مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ، حَتَّـــى قَـــالَ بَعْـــضُ الْعُلَمَاءِ: تَدَبَّرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَأَدْهَشَنِي وَكِدْتُ أَطِيشُ، فَوَا أَسَفَا مِنَ الْجَهْـــلِ بِهَـــذَا الْحَدِيثِ، وَقِلَّةِ التَّفَهُّمِ لِمَعْنَاهُ.[٣٨]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٣٧] - جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٤٩٣)

[٣٨] - جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٤٦٢)

[الْحَدِيثُ الْعِشْرُونَ - إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ]

عن أبي مَسْعُودٍ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى:إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ " رَواهُ البُخاريُّ[٣٩]

المعنى العام :

قال أحد العلماء:هذا الحديث يتضمن الأحكام الخمسة في قوله:إذا لم تستح فاصنع ما شئت،لأن فعل الإنسان إما أن يستحي منه أولا،فالأول الحرام والمكروه،والثاني الواجب والمستحب والمباح، ولذا قيل إن هذا الحديث عليه مدار الإسلام.

يبين لنا هذا الحديث أن الحياء لم يزل ممدوحا مستحسنا مأمورا به في الشرائع،فلم ينسخ كما نسخ غيره لأن السليم يستحسنه ويرغب فيه لأن الحياء لا يكون في شيء إلا زانه ولا يترع من شيء إلا شانه،ومن حرم الحياء فقد حرم خيرا كثيرا،وإذا لم يكن لدى الإنسان حياء يدفعه إلى فعل الجميل ومكارم الأخلاق،ويباعده عن كل قبيح وسيرء،فليفعل ما تأمره به نفسه الأمارة بالسوء أيا كان فإن الله مجازيه على فعله؟ ويكون الأمر هنا لتهديد، كما في قوله تعالى:{اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} ويحتمل معنى آخر،وهو إذا أردت أن تفعل شيئا فإن كان مما لا تستحي من فعله بأن يعاقبك الله عليه ولا من الناس بأن يذموك على فعله فافعل ما شئت لأنه مباح لك وإلا فلا.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) شرف الحياء،فإنه ما من نبي إلا وقد حث عليه،ولم نسخ فيما نسخ من شرائع الأنبياء،ولم يبدل فيما بدل منها،وذلك لأنه أمر قد على صوابه وبان فضله،واتفقت العقول على حسنه _ وما كان كذلك لا ينسخ..

---

[٣٩] – صحيح البخاري (٨/ ٢٩)(٦١٢٠)

(٢) أن الحياء هو الذي يكف الإنسان ويردعه عن مواقعة السوء،فإذا رفضه وخلع ربقته كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة،تعاطي كل سيئة..

(٣) إن من لم يتصف بالحياء فإنه يفعل ما يشاء سواء خيرا أو شرا.

(٤) مما يدل على أهمية الحديث قوله " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى " حيث يستفاد فائدتان:الأولى:أنه من كلام الأنبياء المتقدمين .الثاني:تواتره على الناس وانتقاله من جيل إلى جيل إلى أن وصل لهذه الأمة،والناس لا يتناقلون عبر هذه الأجيال الطويلـــة إلّا شيئاً مهماً .

(٥) يرشد الحديث لضبط سلوك الإنسان وتصرفاته .

(٦) يربي في النفس المسلمة خلق الحياء،فيكون الحياء رادعاً له عن كثير من التصـــرفات القبيحة .

(٧) الحث على الحياء والتحذير من ذهابه موروث حتى عند الأمم الماضية .

(٨) من لم يكن عنده حياء يتحلّى به جاهر بالقبائح والفضائح .

(٩) لا يسمى حياءً إذا تعارض مع أمر من أمور الشريعة،لأن الذي حث على الحياء هو الذي أمر بذلك الأمر فلا يتعارضان .

[الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ - قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ]

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ،قَالَ:" قُلْ:آمَنْتُ بِاللهِ،فَاسْتَقِمْ " رواهُ مُسلم[٤٠].

المعنى العام :

يخبرنا الصحابي جابر رضي الله عنه في هذا الحديث أن رجلا سأل رسول الله ﷺ بصيغة الاستفهام مظهرا أنه سيعمل بما يرشده إليه الرسول ﷺ.فقال:أخبرني إذا أنا حافظت على الصلوات الخمس وصمت شهر رمضان كاملا واعتقدت أن الحلال حلال أكله واستعماله.وأن الحرام حرام معتقدا حرمته واجتنابه.و لم أزد على ما سألتك شيئا من التطوعات.فهل أنا محل المستحقين لدخول الجنة؟ فقال له النبي ﷺ:نعم تدخل الجنة،و لم يذكر الحج والزكاة إما لعدم وجوبهما على السائل أو لاندراجهما في الحلال،أو لعدم فرضيتهما حين سؤاله.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إن من قام بالواجبات وانتهى المحرمات دخل الجنة

(٢) جواز ترك التطوعات إذا لم يكن من باب التساهل والاستهانة بها.

(٣) النظر إلى أحوال الناس، فلعل السائل حديث عهد بالإسلام فسهل عليه حتى يقوى إيمانه.

(٤) عظم أمر الصلوات الخمس.وصيام رمضان.وإحلال الحلال.واجتناب الحرام.

---

[٤٠] – صحيح مسلم (١/ ٦٥) ٦٢ – (٣٨) [ش (قل آمنت بالله فاستقم) قال القاضي عياض رحمه الله هذا من جوامع كلمه ﷺ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك]

(٥) إن في اجتناب الحرام وأكل الحلال إصلاحا للفرد والمجتمع.فلو عمل بهذا الحديث لاستتب الأمن.وقويت الثقة بين الناس.وانقطعت الخصومات والمنازعات بينهم، ولكن هيهات هيهات.

(٦) الأمر بالاستقامة،وهي الإصابة في جميع الأقوال والأفعال والمقاصد.وأصلها استقامة القلب على التوحيد التي فسر بها أبو بكر الصديق قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف:١٣] فمتى استقام القلب على معرفة الله وخشيته،وإجلاله،ومهابته،ومحبته،وإرادته،ورجائه،ودعائه،والتوكل عليه،والإعراض عما سواه،استقامت الجوارح كلها على طاعته،فإن القلب ملك الأعضاء وهي جنوده،فإذا استقام الملك استقامت الجوارح.

(٧) أهمية الحديث تتجلى من خلال صيغة السؤال " لا أسأل عنه أحدًا غيرك " فهذا يدل على أن الجواب سيكون جامعاً مانعاً .

(٨) يدل على الحرص على طلب العلم وهذا ظاهر من صيغة السؤال،فهي تدل على حب وشغف لمعرفة الجواب .

(٩) ينبغي لطالب العلم أن يحرص على السؤال المختصر الهام الذي يجمع فوائد عدة،وهذا ما فعله سفيان بن عبد الله رضي الله عنه في سؤاله حيث كان مختصرًا هاماً،إجابته تجمع فوائد عديدة .

(١٠) السؤال مفتاح العلم،فعلى طالب العلم ألّا يستحي من سؤاله .

(١١) طالب العلم يجب أن يكون ذكياً في اختيار سؤاله،خاصة إن كانت فرصة الجواب لا تتهيأ في كل الأحيان،ولذلك فإن سؤال سفيان رضي الله عنه من هذا النوع الذكي الذي يختلف عن أسئلة الناس .

(١٢) قوله " آمنت بالله ثم استقم " مرادف لقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأحقاف: ١٣]

(١٣) جمع في الحديث أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة وهي:قول اللسان:لقوله " قل آمنت بالله " .اعتقاد الجنان:لقوله " آمنت بالله " .عمل الجوارح:لقوله " استقم " .

(١٤) الإيمان قول يصدقه العمل،فلم يكتف النبي ﷺ بقوله " قل آمنت بـــالله " حـــتى أردف بها وصيته لسفيان رضي الله عنه بقوله " ثم استقم " فيصدق قوله بالإيمان بفعـــل وعمل ظاهر .

(١٥) قوله " استقم " تحمل في مضمونها المجاهدة،فلا تأتي الاستقامة على دين الله إلّا بعد مكابدة وصبر ومصابرة .

(١٦) يجب على الإنسان أن يستقيم على دين الله من غير اعوجاج ولا انحراف،ويشمل ذلك فعل الطاعات وترك المنهيات .

(١٧) الحديث من معجزاته ﷺ،لأنه من جوامع كلمه ﷺ.

(١٨) جمع الحديث الدين كله،لأن الاستقامة هي فعل الطاعات كلها مـــن واجبـــات ومستحبات،وترك المنهيات كلها من محرمات ومكروهات وهذا هو الدين الذي بعث به محمد ﷺ.

(١٩) الاستقامة قرنت في القرآن مع الاستغفار في قوله:{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْـــتَغْفِرُوهُ } [فصلت: ٦] . وَالِاسْتِقَامَةُ: هِيَ سُلُوكُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ مِـــنْ غَيْـــرِ تَعْرِيجٍ عَنْهُ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَـــرْكَ الْمَنْهِيَّاتِ كُلِّهَا كَذَلِكَ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَامِعَةً لِخِصَالِ الدِّينِ كُلِّهَا.وَفِي قَوْلِهِ عَـــزَّ وَجَلَّ: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [فصلت: ٦] إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ تَقْصِـــيرٍ فِـــي الِاسْتِقَامَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَيُجْبَرُ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ الْمُقْتَضِي لِلتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الِاسْـــتِقَامَةِ، فَهُوَ كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاذٍ " «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا» "[٤١] . وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ لَنْ يُطِيقُوا الِاسْتِقَامَةَ حَقَّ الِاسْتِقَامَةِ،فعن ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِـــيِّ

[٤١] – مر تخريجه

ﷺ قَالَ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَـى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[٤٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا.."[٤٣].

فَالسَّدَادُ: هُوَ حَقِيقَةُ الاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ الْإِصَابَةُ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَـالِ وَالْمَقَاصِـدِ، كَالَّذِي يَرْمِي إِلَى غَرَضٍ، فَيُصِيبُهُ.."[٤٤]

(٢٠) لا يقر الحديث مجرد الإقرار بالإيمان والانتساب إلى منهج أهل السنة ما لم يكـن معه استقامة تصدقه وتحفظه وترشده،استقامة في القلب والجوارح،فإن لم تكن اسـتقامة فمجرد الانتساب لا يكفي،كما أوضحه ﷺ لسفيان رضي الله عنه .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٤٢] – سنن الدارمي (١/ ٥١٩)(٦٨١) صحيح

[٤٣] – صحيح البخاري (٨/ ٩٨)(٦٤٦٣) وصحيح مسلم (٤/ ٢١٧١)٧٨ – (٢٨١٨)

[٤٤] – جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٥١٠)

[الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ - الجنة لمن قام بالواجبات وترك المحرمات]

عَنْ جَابِرٍ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ،وَصُمْتُ رَمَضَانَ،وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ،وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ،وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا،أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قَالَ:وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا".رواهُ مسلم[٤٥].

المعنى العام:

يخبرنا الصحابي راوي هذا الحديث أنه طلب من النبي ﷺ أن يعلمه ما يحتاج إليه في دينه قولا جامعا شاملا لمعانق الإسلام واضحا جليا لا يحتاج إلى تفسير كافيا لا يحتاج معه إلى سؤال غيره،فأمره الرسول ﷺ بأن يداوم على الإيمان،ثم يعتدل ويستقيم على ما يقتضيه الإيمان من امتثال الأوامر ندبها وواجبها.واجتناب النواهي حرامها ومكروهها،فإذا عمل بهذا فقد نجا وفاز في دنياه وآخرته، وقد ورد في القرآن العزيز الفضل العظيم لمن آمن بالله ثم استقام قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)} [فصلت].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) الأمر بالاستقامة وهي الإصابة والاعتدال في جميع الأقوال والأفعال والمقاصد المحمودة.

(٢) اجتناب المحرمات وجميع ما كان مخالفا للشريعة من قول أو فعل أو اعتقاد.

(٣) جواز الفتوى إجمالا إذا كان الإنسان يفهمها بدون تفصيل.

---

[٤٥] - صحيح مسلم (١/ ٤٤) ١٨ - (١٥)

[ش (وحرمت الحرام وأحللت الحلال) قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى الظاهر أنه أراد به أمرين أن يعتقده حراما وأن لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده حلالا]

(٤) في الحديث إثبات العموم والعمل بما يشتمل عليه.

(٥) أن من قام بالواجبات،وانتهى عن المحرمات دخل الجنة.وقد تواترت النصوص بهـــذا المعنى.

(٦) جواز ترك التطوعات على الجملة إذا لم يكن من قبيل التهاون،ولا ينافي ذلـــك أن تاركها فوت نفسه ربحا عظيما.وقد كان الصحابة ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض،و لم يكونوا يفرقون بينها في اغتنام الثواب،إنما احتـــاج الفقهاء ذكر الفرق لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها وخوف العقـــاب علـــى الترك.ونفيه إن حصل ترك بوجه ما.وقد قيل:إنما ترك النبي ﷺ تنبيه هذا الســـائل علـــى السنن والفضائل تسهيلا وتيسيرا لقرب عهده بالإسلام،لئلا يكون الإكثار من ذلك تنفيرا له،وعلم أنه إذا تمكن في الإسلام،وشرح الله صدره،رغب فيما رغب فيه غيره أو لـــئلا يعتقد أن السنن والتطوعات واجبة.

(٧) تفاوت الناس في الإيمان،فمنهم من يحرص على المقامات العليا،ومنهم من يكون أقل ،فأحياناً يسأل السائل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال ؟ وأحياناً بما دون ذلك،وهـــذا يؤكد مذهب أهل السنة والجماعة في أن الإيمان يزيد وينقص وأهله يتفاضلون فيه .

(٨) طالب العلم ينبغي أن ينتبه للأسئلة التي تعرض على الشيخ ويحضر لها ذهنه وقلبـــه ولو كانت من غيره،فلابد أن يجد فيها فائدة .

(٩) يجوز الاقتصار على الفرائض من المكتوبات ورمضان والزكاة وغيرها،لكن المقـــام العالي أن يجمع الشخص النوافل .

(١٠) فيه فضيلة الفرائض لدرجة أن من اقتصر عليها وداوم تدخله الجنـــة بفضـــل الله ورحمته .

(١١) على العالم أن يراعي حال الناس،فلا يلزم الناس بحالة واحدة ويهمل الفوارق بينهم بل عليه أن يوجه ويرشد على حسب حال السائل،ولذلك السائل في حديث البـــاب لم

يوبخه النبي ﷺ ويلزمه النوافل بل رضي منه الفرائض لأنها تناسب حاله،وفي بعض الروايات أن أعرابياً سأل النبي ﷺ، ولا يخفى مراعاة حال الأعراب .

(١٢) من الفقه ألا يقنط العالم الناس من رحمة ربه سبحانه وتعالى .

(١٣) تيسير الشريعة الإسلامية على أهلها فلم تشدد عليهم و لم تطالبهم بالتنطع والانقطاع والرهبانية بل رضيت منهم الحرص على الفرائض وفعل الحلال وترك الحرام .

(١٤) الحديث دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على أن الأعمال من الإيمان .

(١٥) قول السائل " و لم أزد على ذلك شيء " معناه لم أفعل النوافل بل أكتفي من الصلاة بالمكتوبة ومن الصيام برمضان وهكذا،وليس المراد أني لا أعمل بشيء من الشريعة غير الصلاة والصيام بدليل قوله " وأحللت الحلال وحرمت الحرام " .

(١٦) التحليل والتحريم لله سبحانه فقط لأنه الحكم سبحانه له الحكم وهو أحكم الحاكمين .

(١٧) دل الحديث على أن تحليل الحلال باعتقاد حله سواءً فعله أو لم يفعله،وتحريم الحرام باعتقاد حرمته واجتنابه وتركه .

[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ - الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ]

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ،وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،وَالصَّلَاةُ نُورٌ،وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ،وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ،كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».رواه مسلم[٤٦]

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث أن من طهر قلبه من الشكوك والاعتقادات الفاسدة،وطهر بدنه من الأحداث فقد أخذ بنصف الإيمان،ومن حمد الله تعالى فثواب حمده يملأ الميزان وتسبيحه وتحميده يملآن ما بين السماء والأرض من الأجر لأن الحامد لله يثني على ربه سبحانه بجميع المحامد،ومن ذلك صفات الكمال لله ونعوت الجلال،والمسبح يتره الله عن النقائص والعيوب والآفات،وأن الصلاة نور يهتدي به الإنسان عاجلا وآجلا كما أن الصدقة دليل وبرهان على قوة إيمان صاحبها وصبر العبد على طاعة الله وما يصيبه من الفتن والمكاره يكون سببا لزيادة نور بصيرته.فيصبر على ما الله عليه لإيمانه بذلك وكل الناس

---

[٤٦] - صحيح مسلم (١/ ٢٠٣)١ - (٢٢٣)

[ش (الطهور) قال جمهور أهل اللغة يقال الوضوء والطهور بضم أولهما إذا أريد به الفعل الذي هو المصدر ويقال الوضوء والطهور بفتح أولهما إذا أريد به الماء الذي يتطهر به (شطر) أصل الشطر النصف (الصلاة نور) فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به (والصدقة برهان) قال صاحب التحرير معناه يفزع إليها كما يفزع إلى البراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول تصدقت به (والصبر ضياء) فمعناه الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا والمراد أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب (والقرآن حجة لك أو عليك) معناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك (كل الناس يغدو الخ) فمعناه كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها الله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى بإتباعها فيوبقها أي يهلكها]

يسعى لنفسه.فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعقتها من النار يوم القيامة.ومن النـــاس مـــن يبيعها للشيطان وهوى النفس فيهلكها يوم القيامة،وربما تعجل له العقوبة في الدنيا فنسأل الله العافية.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إثبات الميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة.

(٣) فضل الطهور وأنه نصف الإيمان.

(٣) فضل التسبيح والتحميد.

(٤) عظم ثواب الصلاة والصدقة والصبر.

(٥) أن من تبع القرآن قاده إلى الجنة،ومن جعله خلف ظهره وأعرض عنـــه قـــذف في النار..

(٦) إن كل إنسان إما ساع في إهلاك نفسه،أو في فكاكها،فمن سعى في طاعة الله فقـــد باع نفسه لله.وأعتقها من عذابه،ومن سعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان،وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه..

(٧) دليل لمذهب أهل السنة أن الأعمال من الإيمان حيث اعتبر الوضوء شطر الإيمان .

(٨) التطهر بمعناه العام من الإيمان،فيدخل فيه الوضوء والغسل والطهارة مـــن الـــذنوب سواءً بحديث الباب أو غيره من الأحاديث .

(٩) لا يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن مراقب لربه،محتسب لصلاته،حريص على العناية بها ،ولهذا كان الطهور شطر الإيمان،أما من تهاون به فاته فضل الإسباغ، وكان دليلاً علـــى قدر الصلاة في قلبه .

(١٠) لرفع همة المؤمن ينبغي أن يعلق قلبه بالآخرة وثقل الميزان والجنة لأنها أمور معتـــبرة لديه ولذلك نص النبي ﷺ على أن التحميد يملأ ميزان العبد .

(١١) التحميد أفضل من التسبيح لأن التحميد إثبات المحامد كلها لله ســـبحانه،بخلاف التسبيح فهو تتريه الله عن النقائص والعيوب ولهذا يأتي التحيمد مفردًا بينمـــا التســـبيح

الغالب أن يأتي مقروناً بغيره كالتحميد فتقول:" سبحان الله وبحمده " ولا يعني هذا نقص التسبيح لكن يعني كمال التحميد .

(١٢) الحمد فيه اعتراف بفضل الله سبحانه ومدح له،ويتضمن نقص النفس لأنها لا تملك شيئاً تحمد فيه وتمدح لأجله .

(١٣) فيه فضيلة الصلاة وأنها نور لصاحبها في الدنيا والآخرة .

(١٤) قوله " الصلاة نور " دليل على أنه على قدر صلاته وإتمامها وخشوعها تكون قوة ذلك النور،نسأل الله أن يتم نورنا،فمن تم نور صلاته نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر وكانت حجابه عن النار،ونور الله بصيرته،ومن نقص نور صلاته نقص منه بقدر ذلك .

(١٥) فيه فضيلة الصدقه وأنها علامة من علامات الإيمان .

(١٦) النفس تحب المال بطبعها فمن خالف هوى نفسه وأنفق وتصدق كان ذلك برهانُ على إيمانه ولذلك قال " والصدقة برهان " .

(١٧) قوله " والصبر ضياء " يدل على أن الصبر لابد فيه من الحرارة وإكراه النفس لأن الضياء نور فيه حرارة بخلاف النور فهو مجرد الإشراق .

(١٨) الصبر بأنواعه الثلاثة فيه حبس للنفس ومشقة سواءً:الصبر على طاعة الله . الصبر على معصية الله . الصبر على أقدار الله.

(١٩) الصبر على ما فيه من المشقة والشدة إلّا أن عاقبته نور وفرج وهذا مدلول قوله "ضياء " ففيه بشارة للصابر .

(٢٠) في بعض نسخ صحيح مسلم " والصيام ضياء " وهذا يدل على ما يأتي: الأول:المشقه التي تحدث في الصيام من حرارة في الجوف والجوع والعطش .الثاني:فضل الصيام وأنه ضياء للإنسان عند الله سبحانه وتعالى .

(٢١) عظم شأن القرآن حيث جعله أحد مترلتين لا ثالث لهما وهما " حجة لك أو عليك "، فمن قرأه وأقام حدوده كان حجة له وإّلا كان حجة عليه لوضوحه وبيانه وسلامته من اللبس والزلل .

(٢٢) الناس في الدنيا يسعون ويعملون إما لفكاك رقابهم من النار أو لإهلاكها .

(٢٣) فضل من باع نفسه لله سبحانه واشترى جنة عرضها السماوات والأرض ،فهذا الذي أعتق نفسه .

(٢٤) خسارة من ضيع أوامر الله وانتهك حرماته،فهذا الذي أوبق نفسه وأهلكها .

(٢٥) فيه حث على العمل والعبادة لله سبحانه وتعالى والحرص على إعتاق النفس من النار في قوله " فبائع نفسه فمعتقها " أما مجرد الكسل والتواني والعجز والأماني فلا يأتي بخير .

(٢٦) الحديث دليل على أن الشخص له إرادة واختيار،بها يختار إعتاق النفس من النار أو يرضى بإهلاكها .

(٢٧) الحديث دليل على أن الأعمال تنسب للفاعل،فهو الذي يعتق نفسه،وهو الذي يهلك نفسه وهذا مذهب أهل السنة والجماعة .

(٢٨) هناك مناسبة ظاهرة بين نهاية الحديث مع أوله فبعد أن ذكر جملة من الأعمال من الطهور والتحميد والتسبيح والصلاة والصدقة والصبر والقرآن ذكر أن من عمل هذه الأعمال أعتق نفسه ومن تركها وتهاون أهلك نفسه .

(٢٩) قوله " فبائع نفسه فمعتقها " يؤيد الحديث الآخر " وأصدقها يعني الأسماء حارث وهمام "[٤٧] فلابد للإنسان من حرث وعمل وهم وإرادة بها يتحرك،ثم بعد ذلك قد يكون حرثه وعمله في إعتاق نفسه،وقد يكون في إهلاكها أما أن يوجد شخص بدون عمل ولا إرادة فلا يكون .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٤٧] – سنن أبي داود (٤/ ٢٨٧)(٤٩٥٠) صحيح

[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - تحريم الظلم]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،فَلَا تَظَالَمُوا،يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ،فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ،يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ،إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ،فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ،يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ،إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ،فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ،يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ،يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي،فَتَنْفَعُونِي،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ،مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ،مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ،يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ،ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا،فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا،فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ،فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواهُ مسلمٌ[٤٨]

المعنى العام:

---

[٤٨] - صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤)٥٥ - (٢٥٧٧)

[ش (إلا كما ينقص المخيط) قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئا أصلا كما قال في الحديث الآخر لا يغيضها نفقة أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص وإنما يدخل النقص المحدود الفاني وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء]

يفيدنا هذا الحديث القدسي المشتمل على فوائد عظيمة في أصول الدين وفروعه وآدابه بأن الله سبحانه حرم الظلم على نفسه تفضلا منه وإحسانا إلى عباده وجعل الظلم محرما بين خلقه فلا يظلم أحد أحدا،وأن الخلق كلهم ضالون عن طريق الحق إلا بهداية الله وتوفيقه ومن سأل الله وفقه وهداه وأن الخلق فقراء إلى الله محتاجون إليه ومن سأل الله قضى حاجته وكفاه،وأنهم يذنبون بالليل والنهار والله تعالى يستر ويتجاوز عند سؤال العبد المغفرة،وأنهم لا يستطيعون مهما حاولوا بأقوالهم وأفعالهم أن يضروا الله بشيء أو ينفعوه،وأنهم لو كانوا على أتقى قلب رجل واحد أو على أفجر قلب رجل واحد ما زادت تقواهم في ملك الله ولا نقص فجورهم من ملكه شيئا لأنهم ضعفاء فقراء إلى الله محتاجون إليه في كل حال وزمان ومكانا وأنهم لو قاموا في مقام واحد يسألون الله فأعطى كل واحد ما سأل ما نقص ذلك مما عند الله شيئا لأن خزائنه سبحانه ملأى لا تغيضها نفقة،سحاء الليل والنهار وأن الله يحفظ جميع أعمال العباد ويحصيها لهم وعليهم ثم يوفيهم إياها يوم القيامة فمن وجد جزاء عمله خيرا فليحمد الله على توفيقه لطاعته ومن وجد جزاء عمله شيئا غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه الأمارة بالسوء التي قادته إلى الخسران نعوذ بالله من ذلك.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) كمال فعل الله تعالى وتنزيهه عن الظلم وأن أفعاله كلها عدل وحكمة.

(٣) تحريم الظلم،وذلك متفق عليه في كل ملة،لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ النفس والأنساب والأعراض والعقول والأموال،والظلم يقع في هذه أو بعضها،وأعظم الظلم الشرك،قال تعالى:{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣]..

(٣) التنبيه على افتقار الخلق إلى الله تعالى وعجزهم عن إدراك منافعهم ودفع مضارهم إلا بتيسير الله تعالى لهم.

(٤) إن ملك الله في غاية الكمال فلا يزيد بطاعة الخلق ولا ينقص بمعصيتهم.

(٥) أن الأصل في التقوى والفجور هو القلوب،فإذا بر القلب وأتقى برت الجوارح،وإذا فجر القلب فجرت الجوارح..

(٦) وجوب الإقبال على المولى في جميع ما يترل بالإنسان لافتقار سائر الخلق إليه وعجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم إلا بتيسيره.فيجب إفراده بأنواع العبادة:من السؤال والتضرع والاستعانة وغيرها،فإنه المتفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه،وإحيائه وإماتته،ومغفرة ذنوبه..

(٧) إن خزائن الله ملأى لا تنفذ البتة إذ لا نهاية لها.

(٨) إن الله يحفظ أعمال العباد ويحصيها لهم وعليهم،ثم يوفيه إياها يوم القيامة.

(٩) إن الخير كله من فضل الله على عباده من غير وجوب استحقاق والشر كله من النفس والهوى والشيطان.

(١٠) كمال فعله تعالى لتنزيهه عن الظلم وكمال ملكه فلا يزاد بالطاعة ولا ينقص بالمعاصي.وكما غناه فإن خزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء.وكمال إحسانه إلى عباده فإنه يجب أن يسألوه جميع مصالحهم الدينية والدنيوية كما يسألونه الهداية والمغفرة،فله تعالى الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله.

(١١) يربي في نفس المسلم رحمة الله سبحانه وتعالى وهذا ظاهر في جميع ألفاظ الحديث .

(١٢) يورث الحياء من الله سبحانه،فمع غناه الكامل وعظمته إّلا أنه ينادي عباده بنداء لطيف لدعائه وعبادته واستغفاره .

(١٣) يزيد من محبته سبحانه في القلوب المؤمنة فمن لم يزدد محبة لله بعد هذا الحديث فليتهم قلبه لأن جميع ألفاظ الحديث ومعانيه تزكي المحبة في القلب وتحركها .

(١٤) يتوجه النداء في قوله " يا عبادي " إلى جميع البشر مؤمنهم وكافرهم،إنسهم وجنهم ،فكلهم عباد لله عبودية عامة .

(١٥) الله يحب المدح ولذلك مدح نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى،وحتى الصفات المنفية عن الله كالنوم والسنة والموت تتضمن مدحاً فلا ينام

سبحانه لكماله ولا يموت لقيوميته وحياته سبحانه،وهذا الحديث كله مدح لله فهو أهل للمدح .

(١٦) يربي في النفس المؤمنة الافتقار إلى الله والتذلل له والمسكنة وتمام الحاجة إليه .

(١٧) مذهب أهل السنة والجماعة أن الله حرم الظلم على نفسه سبحانه مع قدرته عليه،ولكنه حرمه فضلاً منه وجودًا وكرماً،فهو قادر عليه سبحانه إذ لو لم يكن قادرًا لم يكن في تحريمه الظلم على نفسه مدحاً،إذا كيف يمدح نفسه بشيء لا يقدر عليه ؟! .

(١٨) يدل الحديث على تحريم الظلم بجميع صوره وأشكاله بين الناس،وصيغة الحديث تدل على الترهيب منه حيث جعله الله على نفسه محرماً ثم حرمه على الناس،فما جزاء من تعدى بعد ذلك وظلم ؟! .

(١٩) من الظلم الذي حرمه الله الشرك به ودعاء غيره والالتجاء إلى أحد سواه،وانتهاك حرماته والتعدي على حدوده .

(٢٠) يدل الحديث على أن الهداية بيد الله يعطيها من يشاء بفضله،ويمنعها من يشاء بعدله،ولذلك قال " فاستهدوني " فتطلب من عنده .

(٢١) دل الحديث على أن الإنسان لولا إعانة الله لضل السبيل ولا يملك دلالة لنفسه وإرشادًا لها " يا عبادي كلكم ضال "

(٢٢) قوله " كلكم ضال إّلا من هديته " فيه بيان لفضل الرسل لأن الله هدى بهم الناس وأخرجهم من الظلمات إلى النور يبلغون دين الله وهداه ونوره .

(٢٣) يدل الحديث على حاجة الإنسان إلى الهداية في كل لحظات حياته،قال ابن تيمية رحمه الله:" وَالذُّنُوبُ مِنْ لَوَازِمِ النَّفْسِ ؛ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إلَى الْهُدَى كُلَّ لَحْظَةٍ ؛ وَهُوَ إلَى الْهُدَى أَحْوَجُ مِنْهُ إلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ " أ. هـ .[٤٩]

[٤٩] – مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية– دار الوفاء (٨/ ٢١٦)

وقال رحمه الله أيضاً موضحاً ذلك " وَالْمَقْصُود هُنَا أَن كل عبد فَهُوَ مفتقر دَائما إِلَى حُصُول هَذِه الْهِدَايَة وَأما سُؤال من يَقُول فقد هدَاهُم إِلَى الْإِيمَان فَلَا حَاجَة إِلَى الْهدى وَجَوَاب من يُجيب بِأَن الْمَطْلُوب دوَام الْهدى فَكَلَام من لم يعرف حَقِيقَة حَال الْأَسْبَاب وَمَا أَمر بِهِ فَإِن الصِّرَاط الْمُسْتَقيم أَن تفعل فِي كل وَقت مَا أمرت بِهِ فِي ذَلِك الْوَقْت من علم وَعمل وَلَا تفعل مَا نهيت عَنهُ وَهَذَا يحْتَاج إِلَيْهِ فِي كل وَقت إِلَى أَن يعلم مَا أَمر بِهِ فِي ذَلِك الْوَقْت وَمَا نهى عَنهُ وَإِلَى أَن يحصل لَهُ إِرَادَة جازمة لفعل الْمَأْمُور وَكَرَاهَة جازمة لترك الْمَحْظُور وَهَذَا الْعلم الْمفصل والإرادة المفصلة لَا يتَصَوَّر أَن تحصل للْعَبد فِي وَقت وَاحِد بل فِي كل وَقت يحْتَاج أَن يَجْعَل الله فِي قلبه من الْعُلُوم والإرادات مَا يهدى بِهِ فِي ذَلِك الْوَقْت نعم حصل لَهُ هدى مُجمل فَإِن الْقُرْآن حق وَدين الْإِسْلَام حق وَالرَّسُول وَنَحْو ذَلِك وَلَكِن هَذَا الْهدى الْمُجْمل لَا يُعينهُ إِن لم يحصل لَهُ هدى مفصل فِي كل مَا يَأْتِيهِ ويدبره من الجزئيات الَّتِي يحار فِي كثير مِنْهَا أَكثر عقول الْخلق ويغلب الْهوى أَكثر الْخلق لغَلَبَة الشُّبُهَات والشهوات على النُّفُوس .."[٥٠]

(٢٤) في هذا الحديث أمر الله بالدعاء ووعد بالإجابة فقال " فاستهدوني أهدكم " وقال " فاستطعموني أطعمكم " وقال " فاستكسوني أكسكم" وهذا يربي في الأنفس اليقين بوعد الله سبحانه .

(٢٥) الطعام والرزق على وجه العموم كله من عند الله سبحانه،لا يملك أحد منه شيء،وهذا يوجب اليقين بما قسم الله،والرضاء به،وسؤال الله الرزق .

(٢٦) في قوله " كلكم جائع إلّا من أطعمته " بيان لقمة فقر الإنسان وحاجته،وحوله وقوته من دون الله سبحانه حيث لا يملك أن يطعم نفسه فضلاً أن يهديها وهذا ظاهر، كذلك في قوله "كلكم عار إلّا من كسوته " حيث لا يملك الإنسان أن يكسي عريه،فسبحان الغني .

---

[٥٠] – جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (١/ ٩٩)

(٢٧) فيه بيان لمنة الله على جميع خلقه وتفضله عليهم في الأكـــل والشـــرب واللبـــاس والهداية ولا حدود لذلك فله الحمد .

(٢٨) يربي التفكر في حياة الإنسان نفسه،في طعامه وشرابه ولباسه،فمن تفكـــر فيهـــا وكيف أتته ؟ ومن ساقها إليها ؟ قاده ذلك إلى شكرها والاعتراف بفضل المنعم بها .

(٢٩) سبحان من علم خطايا الإنسان كلها وأحصاها لا يغيب عليه شـــيء منـــها،ولا تخفى عليه خافيه " يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار " .

(٣٠) قوله " تخطئون بالليل والنهار " يربي مراقبة الله في قلب المسلم حيث علم الله ذنوبه وعدها،ومن راقب الله نهى النفس عن الهوى .

(٣١) فيه عظم حلم الله سبحانه حيث تأتيه المعاصي والذنوب والخطايا من الخلق بالليل والنهار ومع ذلك لم يعاجلهم بعقوبة .

(٣٢) الحديث يدل على عظمته سبحانه المطلقة،وهذا ظاهر في قوله "لن تبلغوا ضـــري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني" .

(٣٣) الله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره إذا استغفر صاحبه ولو كان الشرك لقوله " وأنا أغفر الذنوب جميعا " .

(٣٤) فيه تربية للناس على الاستغفار والإكثار منه ومداومته لفرط الحاجة إليه لقولـــه " فاستغفروني أغفر لكم " .

(٣٥) دل على أن العبد محتاج إلى الله سبحانه في أمور الدنيا من سد جـــوع وعطـــش ولباس،ومحتاج إليه في أمور الآخرة من هداية ومغفرة ذنوب .

(٣٦) الطاعات لا تنفع إلا أصحابها،ولا تضر إلا إياهم،أما الله فلا تنفعه طاعة الطـــائعين ولا تضره معصية العاصين " يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني ولـــن تبلغـــوا نفعـــي فتنفعوني " .

(٣٧) كرمه سبحانه وتعالى في رزق الخلق جميعاً وجلب المنافع ودفع المضار مع أن منهم الكافر والعاصي والطائع الذي قصر في طاعته .

(٣٨) قوله " قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً مرادف لقوله {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ } [الحجر: ٢١]

(٣٩) على الإنسان أن يرجع سبب ما يصيبه من خير إلى الله سبحانه،وما يصيبه من شر إلى نفسه ويتهمها في ذلك كما قال " {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } [النساء: ٧٩] وقد قال في حديث الباب " إنما هي أعمالكم " .

(٤٠) في قوله " فاستهدوني أهدكم " مع قوله " إنما هي أعمالكم " تأصيل لمذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر أن الهداية بيد الله يؤتيها الله من يشاء،والعبد له قدره واختيار وعمله ينسب له .

(٤١) جمع الحديث أعمال القلوب الثلاثة:

الأولى:المحبة وهذا في جميع ألفاظ الحديث فإنها تزيد من محبة الله .

الثانية:الرجاء وهذا في قوله " وأنا أغفر الذنوب جميعا " .

الثالث:الخوف وهذا في قوله " إنما هي أعمالكم أحصيها لكم " .

(٤٢) دخول الجنة يكون بفضل الله ورحمته وليس بمجرد الأعمال،ولهذا قال في الحديث " فمن وجد خيرًا فليحمد لله " أي يحمده لأن الخير بفضل الله لا بمجرد العمل .

(٤٣) يجمع الحديث عددًا كبيرًا من أعمال القلوب ويزيدها مثل:التوكل والاستعانة والمحاسبة والصدق والإخلاص والتعلق والخوف والمحبة والرجاء... وغير ذلك كلها اهتم بها الحديث لأنها من الإيمان .

(٤٤) يربي في قلب المسلم محاسبة نفسه وأعماله .

(٤٥) أرزاق البشر جميعاً والدنيا والأموال وكل ما في الكون لا ينقص مما عند الله شيء ،فسبحان من لا تغيضه نفقة ولا ينقص ما عنده،لقوله " ما نقص مما عندي شيئا " .

(٤٦) التقوى والفجور محلها القلب ولذلك قال " على أتقى قلب رجل واحد مـــنكم " وقال " على أفجر قلب رجل واحد منكم " فعلى الإنسان أن يهتم بقلبه ويراعي حالـــه وتقواه ويزيل أمراضه .

[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ -بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ،أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ:يَا رَسُولَ اللهِ،ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ،قَالَ:" أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً،وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً،وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً،وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً،وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ،وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ،وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ:«أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».رَوَاهُ مُسلم[٥١].

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث أن ناسا من فقراء أصحاب النبي ﷺ لما رأوا الأغنياء من الصحابة يتصدقون بفضول أمواله وهم مع ذلك يصلون ويصومون كما يصلى هؤلاء ويصومون فساءهم ذلك لعجزهم عن الصدقة وسبق هؤلاء فشكوا إلى الرسول ﷺ فأخبرهم أن الصدقة ليست محصورة في المال بل تكون بالأعمال الصالحة ومن ذلك ذكر الله من

---

[٥١] - صحيح مسلم (٢/ ٦٩٧) ٥٣ - (١٠٠٦)

[ش (الدثور) جمع دثر وهو المال الكثير (بكل تسبيحة صدقة .. الخ) قال القاضي يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجرا كما للصدقة أجر وإن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور وسماها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام وقيل معناه أنها صدقة على نفسه (وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة) فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا نكره والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية وقد يتعين ولا يتصور وقوعه نفلا والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل (وفي بضع أحدكم) هو بضم الباء ويطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه وكلاهما تصح إرادته هنا وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه أو إعفاف زوجته ومنعهما جميعا من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة (أجرا) ضبطناه أجرا بالنصب والرفع وهما ظاهران]

التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفي مواقعة الرجل زوجته صادقة لما في ذلك من المصالح الدينية والدنيوية كغض البصر وكسر الشهوة عن النظر والزنى وحصول النسل الذي به عمارة الدنيا وتكثير الأمة يوم القيامة لحث الرسول ﷺ على ذلك وينفع الولد والديه عند الحاجة في الدنيا والدعاء والقرب لهما بما ينفعهما في الآخرة وأن من تصدق بالأموال مع الأعمال الصالحة فإن ذلك من فضل الله عليه {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الجمعة: ٤].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) حرص الصحابة على الأعمال الصالحة وقوة رغبتهم في الخير بحيث كان أحدهم يحزن على ما يتعذر عليه من الخير مما يقدر عليه غيره.لكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالمال التي يقدر عليها الأغنياء..

(٢) أن الصدقة لا تختص بالمال بل ربما كانت الصدقة بغيره أفضل،مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فإنه دعاء إلى طاعة الله وكف عن معاصيه،وذلك خير من النفع بالمال،وكذلك تعليم العلم النافع،وإقراء القرآن،وإزالة الأذى عن الطريق،والسعي في جلب النفع للناس ودفع الأذى عنهم،والدعاء للمسلمين،والاستغفار لهم..

(٣) فضيلة التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) إحضار النية في المباحات،وأنها تصير طاعات بالنية الصادقة،:كأن ينوي بالجماع قضاء حق الزوجة،ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله به،أو طلب ولد صالح،أو إعفاف نفسه،أو إعفاف زوجته،وغير ذلك من المقاصد الصالحة..

(٥) الترغيب في الجماع لما فيه من المنافع من البصر وكسر الشهوة عن الوقوع في المحرمات وتكثير الولد.

(٦) سؤال المستفتي عن بعض ما يخفى من الدليل،إذا علم من حال المسئول أنه لا يكره ذلك،و لم يكن فيه سوء أدب.

(٧) ذكر العالم دليلا لبعض المسائل التي تخفى،وتنبيه المفتي على مختصر الأدلة.

(٨) جواز القياس.وما نقل عن السلف من ذم القياس:المراد به القياس المصادم للنص.

(٩) فيه التسابق في فعل الخيرات والتنافس فيها لا في أمور الدنيا.

(١٠) بيان لحال الصحابة رضي الله عنهم ورفعة همتهم، وما كان يشغلهم ويدور في خواطرهم،حيث كان الهم الأكبر لدى الواحد منهم ألا يسبقه أحد في فعل الصالحات.

(١١) الصحابة كانوا يحزنون إذا تعذر على الواحد منهم عمل من أعمال الخير كما وصفهم الله بقوله {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ } [التوبة: ٩٢]

(١٢) إحسان الظن بالمسلمين حيث قال الصحابة عن إخوانهم الأغنياء "ذهبوا بالأجور" فأحسنوا الظن بهم وبأن الله تقبلها منهم، وهذا كله لصفاء قلوبهم من الغل والحقد والحسد.

(١٣) من آتاه الله فضلاً من عنده مال أو غيره فليسخره في طاعة الله وإلا فإنه لم يستفد من ذلك الفضل فأغنياء الصحابة أنفقوا مما آتاهم الله فسبقوا غيرهم ممن لا مال له.

(١٤) تنافس الصحابة وتسابقهم خالٍ عن الغل والحسد، بل مجرد غبطة على ما آتاه الله من فضله لبعضهم دون البعض، ولذلك لم يجرحوهم أو يسبوهم أو يتمنوا زوال ما عندهم.

(١٥) دل الحديث على أن الشخص إذا كان لا يستطيع فعل شيء يذهب إلى باب آخر من أبواب الخير، فلما كان فقراء الصحابة لا يجدون ما يتصدقون به دلهم النبي ﷺ على أبواب أخرى من العبادة من التسبيح والتحميد وغيره.

(١٦) المسلم الأصل أن ينوع العبادات من صلاة وصيام وإنفاق وغير ذلك حتى يفوز بقبول الله سبحانه، لأنه لا يعلم أي أعماله تقبل.

(١٧) دل على تنوع شعب الإيمان وتعددها مما يجعل الشخص مشغولا طوال عمره في تحصيلها وتتبعها.

(١٨) جميع أنواع فعل المعروف صدقة من ذكر الله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك.

(١٩) فعل الشهوات البديهية يأخذ حكم إتيان الرجل زوجته مثل:الأكل والشرب والنوم وطلب الرزق الحلال وغير ذلك كلها للإنسان المسلم فيها أجر عند الله.

(٢٠) فيه بيان لكرم الله سبحانه على عباده في فتحه أبواب الخيرات والعبادات.

(٢١) كرامة المسلم عند الله حيث جعل حتى في أمور الفطرة له أجر فيها.

(٢٢) فيه دليل لمن يحتج بالقياس وهم الجمهور من أهل العلم لأن النبي ﷺ قاس أجر إتيان الزوجة على وزر من فعل الحرام.

(٢٣) عفة النبي ﷺ والصحابة حيث أنهم ذكروا كنايات عن الشهوة فقال النبي ﷺ " وفي بضع أحدكم صدقه" وقوله ﷺ كذلك " وضعها في حرام" وقال الصحابة " يأتي أحدنا شهوته" فكنوا في مثل هذه الألفاظ و لم يصرحوا لكمال عفتهم.

(٢٤) الصدقة تكون بغير مال كما هو صريح الحديث.

(٢٥) على العالم أن يفتح ويعدد أبواب الخير على الناس حتى يعمل كل واحد بما يستطيع فعله ولذلك نوع النبي ﷺ على الصحابة أبواب الخير ما بين صدقه وذكر وأمر بمعروف.

(٢٦) على العالِم أن يسّهل فعل الخير للناس ولا يضع بينهم وبينه حواجز،بل يجعل فعل الخير أقرب لهم من كل قريب كما فعل ﷺ مع فقراء الصحابة.

(٢٧) يربي الحديث في نفس المسلم حفظ الوقت، فما دام أن التهليل والتكبير والتحميد والذكر عامة صدقة، بل كل فعل خير صدقة فإن ذلك يجعل المسلم حريصاً على ألا يصرف وقته إلا في فعل الصدقات.

(٢٨) الحديث يجدد النية في قلب المؤمن،فإتيان الزوجة والإنفاق على الأهل وطلب الرزق تكتب للإنسان صدقات إذا نواها واحتسبها عند الله، فهذا يجعل المؤمن مجددًا لنيته مع مرور الوقت.

[الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ - كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ،كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ،يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ،وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا،أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ،وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ،وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ،وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ[٥٢].

المعنى العام :

يخبرنا النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث أن على كل عضو من أعضاء الإنسان صدقة لما كل يوم،يشكر الله ويحمده حيث ركب فيه هذه الأعضاء وسوى خلقها ظاهرا وباطنا ولو شاء لسلبها القدرة فلا يستطيع الإنسان الحركة فلا يقوم بأعماله الدينية ولا الدنيوية فإبقائها ودوامها ودوام قوتها يوجب الشكر من العبد بالتصدق بسبب دوام هذه النعمة وأن كل عمل من أعمال الخير كالصلح بين الناس،والحكم بينهم بالعدل وإفشاء السلام وطيب الكلام ومساعدة المحتاج إلى المساعدة والنصح للمسلمين بالأقوال والأفعال كل واحد من هذه الأمور فيه صدقة.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن تركيب عظام الآدمي وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى عليه،فيحتاج كل عظم منها إلى تصدق عنه بخصوصه ليتم شكر تلك النعمة..

(٢) المداومة على النوافل كل يوم،وأن العبادة إذا وقعت في يوم لا يعني عن يوم آخر،فلا يقول القائل مثلا:قد فعلت أمس فأجزأ عني اليوم،لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ

---

[٥٢] - صحيح البخاري (٤/ ٥٦) (٢٩٨٩) وصحيح مسلم (٢/ ٦٩٩) ٥٦ - (١٠٠٩)
[ش(يميط الأذى) يزيل ما يتأذى به الناس من حجر أو قمامة وغير ذلك]

عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ،كُلَّ يَــوْمٍ تَطْلُــعُ فِيــهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ»[٥٣]..

(٣) إن الصدقة لا تنحصر في المال بل تكون في الأفعال وغيرها.

(٤) فضل الإصلاح بين الناس والحكم بينهم بالعدل.

(٥) الحث على حضور الجماعات والمشي إليها،وعمارة المساجد بذلك....

(٦) الترغيب في إماطة الأذى،وفي معناه:توسيع الطرق التي تضيق على المارة،وإقامة مــن يبيع ويشتري في وسط الطرق العامة.

(٧) الترغيب في الآداب السامية والأخلاق العالية.

(٨) أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر بفضل الله تعالى.

(٩) وجوب شكر نعم الله التي في الإنسان ذاته لقول " على كل سلامى مــن النــاس صدقة" أي كل عظم من عظام الإنسان يحتاج إلى شكر لله بصدقة لأنه ركبه وأتمه وأنعم به.

(١٠) التفكر في النفس من سمات المؤمنين كما قال تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢١]

(١١) أفضل الصدقات ما كان متعديا نفعه مثل:أن تعدل بين اثنين وأن تحمــل متــاع أخيك أو تعينه على حمله وإماطة الأذى عن الطريق.

(١٢) على المسلم ألا يحتقر أي عمل يحتسبه عند الله سبحانه، ولــذلك في حــديث أبي هريرة مجرد رفع متاع إنسان على دابته وإعانته على ذلك وإماطة الأذى عن الطريق يعتبر صدقة وهما عملان قد يحتقرهما الشخص قبل سماع الحديث.

(١٣) حديث أبي ذر رضي الله عنه السابق أغلب الأعمال التي ذكرت فيه تتناول علاقة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى من ذكر وتهليل وتحميد وأمر بمعروف ونهي عن منكــر،

---

[٥٣] – صحيح البخاري (٣/ ١٨٧)(٢٧٠٧)

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فأغلب الأعمال في علاقة الإنسان مع إخوانه المسلمين ومع مجتمعه، فهما حديثان يكمل أحدهما الآخر.

(١٤) يربي في النفس التواضع حيث يحمل المسلم متاع أخيه ويحمله على دابته ويميط الأذى،فهذا كله يطرد الكبر من القلب.

(١٥) يربي جانب الأخوة بين المسلمين في تعاونهم وتعاضدهم وتآخيهم لقوله" وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه".

(١٦) المسلم طيب لا يخرج من لسانه إلا الكلمة الطيبة من سلام وذكر ودعوة وقرآن وغير ذلك وكل هذا من الصدقة.

(١٧) فيه فضل المشي إلى الصلاة، خاصة إن كان المسجد بعيد فكل خطوة صدقة.

(١٨) الحديث يحث المسلم على الاستمرار في الأعمال الصالحة في كل الأيام لا يقف عند حد، ولا يمل منها، وذلك لقوله " كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل .....، وذكر أنواع الأعمال الصالحة".

(١٩) يدل الحديث على أن المسلم نافع مبارك في جميع أحواله، فإن كان لوحده ذكر الله فكان له بذلك صدقة،وإن التقى مع غيره من المسلمين أعانهم وأحسن صحبتهم، وإن كان في طريق أماط الأذى فكان له بالجميع صدقة.

(٢٠) ينبغي للإنسان أن يستغل أمور حياته الاعتيادية ليكسب من ورائها صدقات، فمن ضروريات الحياة أن يخالط الإنسان غيره، ويذهب لطلب رزقه، ويسافر، فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبذل السلام ويميط الأذى ويعين المسلمين ويعطي الكلمة الطيبة فكل ذلك يكتبه الله له.

(٢١) المجتمع الإسلامي لا يرضى بوجود المخاصمات والتناحر بين أفراده بل يصلح بينهم فإن عجز شخص عن الإصلاح شارك غيره وهكذا حتى يلتئم الصف ويتوحد الشمل، ولذلك جعل الإصلاح بين الاثنين صدقة حتى يشارك الناس كلهم في هذه الصدقة

(٢٢) الإسلام يعود المسلم على المسؤولية عن كل ما يكون حوله فهو مسؤول عن أخيه المسلم وحاجاته ومسؤول عن الطريق فيميط ما فيه من أذى، ومسؤول عن المتخاصمين فيسعى للإصلاح بينهم فالإسلام لا يربي الناس على الأنانية وحب الذات فقط.

(٢٣) الكلمة الطيبة بمفهومها العام هي التي ليس فيها أذى لغيره من المسلمين، فلـــه بها صدقة..

(٢٤) الحديث يجعل المسلم مشارك متفاعل في قضايا مجتمعه من إصـــلاح أو نظافـــة أو تقديم خدمة فليس متوانياً أو مسوفاً أو كسولاً اتكالياً على غيره انعزالياً عما حوله.

[الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ]

عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ،قَالَ:أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ،كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ،قَالَ:فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ،وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ،وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».رواهُ مسلمٌ[٥٤].

المعنى العام :

في هذين الحديثين يخبرنا النبي ﷺ أن البر في حسن الخلق وأن خير الناس أحسنهم أخلاقا لما في حسن الخلق من المصالح العامة لكل فرد ومجتمع وكل صغير وكبير وذكر وأنثى ومن حسن الخلق الإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم والتبسط معهم بلين الكلام والصبر على أذاهم مع كل أحد يلين الكلام والحلم وعدم الغضب، وأن البر ما سكن إليه القلب والنفس وأن الإثم له علامتان الأولى ما حاك في صدرك وتردد في نفسك و لم يطمئن قلبك إلى حله والإقدام عل فعله والعلامة الثانية أن تكره أن يظهر ويستبين عملك لهذا الإثم خشية أن تذم وتلام على فعله واعتقادك لحله وإن أفتاك العلماء فلا تأخذ بفتواهم ما دامت علامة الشبهة تتردد في نفسك فإن الفتوى لا تزيل الشبهة ما دامت الشبهة صحيحة.

ما يرشد إليه الحديث :

(١) الترغيب في حسن الخلق.

---

[٥٤] - صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٠)١٥ - (٢٥٥٣)

[ش (ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة) قال القاضي وغيره معناه أنه أقام بالمدينة كالزائر من غير نقلة إليها من وطنه لاستيطانها وما منعه من الهجرة وهي الانتقال من الوطن واستيطان المدينة إلا الرغبة في سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين فإنه كان سمح بذلك للطارئين دون المهاجرين وكان المهاجرون يفرحون بسؤال الغرباء الطارئين من الأعراب وغيرهم لأنهم يحتملون في السؤال ويعذرون ويستفيد المهاجرون الجواب]

(٢) إن الحق والباطل لا يلتبسان على المؤمن البصير.

(٢) أن الفتوى لا تزيل الشبهة إذا كان المستفتي ممن شرح الله صدره.وكان المفتي إنما أفتى بمجرد ظن،أو ميل إلى الهوى من غير دليل شرعي،فأما ما كان له مع المفتي به دليل شرعي فيجب على المستفتي قبوله وإن لم ينشرح صدره،كالمطر في السفر والمرض،وقصر الصلاة في السفر،ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال..

(٤) إن المستفتى يستفتى من هو أعلم منه وأتقى لله.

(٥) معجزة عظيمة للنبي ﷺ،حيث أخبر وابصة بما في نفسه قبل أن يتكلم به،وأبرزه في حيز الاستفهام التقريري مبالغة في إيضاح إطلاعه عليه وإحاطته به..

(٦) إن الإنسان لا يقدم على شيء لا تطمئن نفسه عليه.

(٧) أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير،بل يعرف الحق بالنور الذي في قلبه،وينفر عن الباطل فينكره.

(٨) الأخلاق تختلف في الحسن، وكلما كان الخلق حسناً كلما كان أعظم في البر.

(٩) البر عليه نور يعرفه كل أحد، والإثم يسبب شكاً وقلقاً.

(١٠) الشريعة في مجملها واضحة بينه من حيث البر والإثم بحيث لا يلتبس الحق بالباطل.

(١١) الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله، والنفرة من ضده وذلك في الجملة،ولهذا قال في الحديث "البر ما اطمأنت إليه النفس".

(١٢) دل على أن النفس تطمئن للخير والبر، ولذلك يصلح لها ولحياتها.

(١٣) من علامات البر ارتياح النفس له واطمئنانها به وسكونها إليه في داخلها، وهذا مجرد علامة لا أن ذلك دليل، وإنما في جملة الأمر إذا كان من البر فيسبب راحة للضمير.

(١٤) من علامات الإثم أنه يسبب حرجاً للنفس وضيقاً لها.

(١٥) البر لا ُيستحى من فعله في خلوات الإنسان وفي المجتمعات العامة بخلاف الإثم فإن فعله في الخلوة يسبب الحرج والضيق وفعله في العلانية يستحى منه، ولهذا قال عن الإثم "ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس" كما في رواية.

(١٦) البر يشمل القيام بحقوق الله، والقيام بحقوق الخلق، ويدل على ذلك اختلاف الروايتين في تفسير البر فقال – في الرواية الأولى "البر حسن الخلق" وهذا القيام بحقوق الخلق. وفي الرواية الثانية " البر ما اطمأنت إليه النفس" وهذا القيام بحقوق الله، لأنه فيما بين الإنسان وبين ربه.

(١٧) يدل على أن الإنسان لا يفعل مثلما يفعل سائر الناس سواء كان الفعل حلالاً أو حراماً، بل يتأنى ويستفت أهل العلم، فإن لم يجد نظر في ذلك الفعل أي العلامات تنطبق عليه، علامات البر أم الإثم؟ وهذا يعرف أحياناً من خلال المصالح المترتبة عليه والمفاسد وهكذا.

(١٨) يدل على أن الإنسان في فتواه قد يجانب الصواب، ومع ذلك لم يحكم بتأثيمه أو انتقاصه ما دام بذل وسعه واجتهد، ولهذا قال " وإن أفتاك الناس وأفتوك".

(١٩) الطاعات تجلب السعادة للمؤمن لأنها من البر الذي تطمئن إليه النفس.

(٢٠) المعاصي والذنوب تجلب الشقاء للإنسان لأنها من الإثم الذي يتردد في الصدر ويسبب الحرج والضيق.

[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ -أهم وصية نبوية]

عن الْعِرْبَاضَ بْنِ سَارِيَةَ،قال:قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ،فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً،وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ،وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ،فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ:وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ،فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ،فَقَالَ:«عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ،وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا،وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا،فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي،وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ،عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ،فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»رواه بن ماجة[٥٥].

المعنى العام :

في هذا الحديث أن الرسول ﷺ وعظ يوما أصحابه موعظة سالت منها الدمع من العيون وخافت منها القلوب خوفا شديدا لشدة تأثيرها في النفوس ولما حاك في صدورهم من أنها موعظة مودع منه لأهل الدنيا فطلبوا منه الزيادة في الوصية فأوصاهم بتقوى الله عز وجل التي هي وصية الله الأولين والآخرين وأن يسمعوا ويطيعوا لولاة الأمور وأن يتمسكوا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وأن يبالغوا في التمسك بها بكل ممكن وبكل سبب وأن لا يتبعوا آراء أهل البدع والأهواء والمقاصد الفاسدة فإن من اتبع هؤلاء فقد ضل وخسر.

ما يرشد إليه الحديث:

---

[٥٥] – سنن ابن ماجه (١/ ١٥) (٤٢) صحيح

[ش (ذات يوم) لفظة " ذات " مقحمة. (بليغة) من المبالغة. أي بالغ فيها بالإنذار والتخويف. (وجلت) كسمعت أي خافت. (وذرفت) أي سالت. وفي إسنادها إلى العيون مع أن السائل دموعها مبالغة. والمقصود أنها أثرت فيهم ظاهرا وباطنا. (وان عبدا حبشيا) أي وإن كان الأمير عبدا حبشيا. (الخلفاء الراشدين) قيل هم الأربعة رضي الله عنهم. وقيل بل هم ومن سار سيرهم من أئمة الإسلام. فانهم خلفاء الرسول ﷺ في إعلاء الحق وإحياء الدين وإرشاد الخلق إلى الصراط المستقيم. (النواجذ) الأضراس. قيل أراد به الجد في لزوم السنة كفعل من امسك الشيء بين أضراسه وعض عليه منعا من أن ينتزع. أو الصبر على ما يصيب من التعب في ذات الله. كما يفعل المتألم بالوجع يصيبه] .

(١) المبالغة في الموعظة،لما في ذلك من ترقيق القلوب،فتكون أسرع إلى الإجابة.بالغـــة في الموعظة لما في ذلك من ترقيق القلوب وقبولها للحق.

(٢) الاعتماد على القرائن في بعض الأحوال،لأنهم إنما فهموا توديعه إيـــاهم بإبلاغـــه في الموعظة أكثر من العادة..

(٣) إنه ينبغي سؤال الواعظ للزيادة من الوعظ والتخويف.

(٤) من أعلام النبوة إخباره ﷺ بما يقع بعده في أمته من كثرة الاختلاف ــ ووقع الأمر كذلك.

(٥) الأمر بتقوى الله والسمع والطاعة،وفي هذه الوصية سعادة الدنيا والآخرة،أما التقوى فهي وصية الله للأولين والآخرين،وأما السمع والطاعة فبهما تنتظم مصـــالح العبـــاد في معاشهم،ويستطيعون إظهار دينهم وطاعاتهم..

(٦) التمسك بالسنة والصبر على ما يصيب المتمسك من الأذى.في ذلك.

(٧) التحذير من ابتداع الأمور التي ليس لها أصل في الشرع،أما ما كان مبنيا على قواعد الأصول ومردودا إليها.فليس ببدعة ولا ضلالة..

(٨) شرف الخلفاء الراشدين وفضلهم واتباع سنتهم.

(٩) أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه فيه غيره كان المصير إلى قـــول الخليفة أولى.

(١٠) ينبغي للإنسان أن يستمع المواعظ بين فترة وأخرى لأنها نافعة للقلب.

(١١) على الإمام وطالب العلم والعالم أن يتعاهدوا الناس بالمواعظ كما كان يفعل ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم.

(١٢) الموعظة يجب أن تكون بليغة قوية تؤدي هدفها ولذلك على الإنســـان أن يختـــار ألفاظها ويحسن قصدها لعل الله أن ينفع بها.

(١٣) فيه بيان لعلاقة القلب مع الجوارح فمتى تأثر القلب وخشع تأثرت العيون فذرفت وبكت من خشية الله.

(١٤) فقه الصحابي العرباض بن سارية رضي الله عنه حيث قدم قوله " وجبت منها القلوب "على قوله "ذرفت منها العيون" لأن القلب هو الأصل.

(١٥) خشية الصحابة رضي الله عنهم لربهم سبحانه، فبسماعهم المواعظ تذرف عيونهم وتوجل قلوبهم.

(١٦) البكاء في مجالس الوعظ والذكر إذا غلب على الإنسان لا يكون رياءً، كما بكى الصحابة رضي الله عنهم في حديث الباب.

(١٧) الكلام النافع هو الذي يخالط القلب فيؤثر عليه لصدق قائله وإخلاصه في نصحه.

(١٨) فهم الصحابة وفطنتهم لما قال ﷺ، ولذلك قالوا " يا رسول الله كأنها موعظة مودع" ففهموا من خلال الألفاظ أنها وصية مودع،وهذا الفهم يحصل بالتركيز والانتباه، أما السهو والغفلة أثناء الوعظ فتضيع الفائدة على صاحبها.

(١٩) يشرع للمسلم أن يطلب الوصية من غيره، ويجب على الآخر أن ينصح له في وصيته ولا يغشه فيها.

(٢٠) على الإنسان أن يتحرى أهل العلم والفضل ويطلب منهم النصيحة لأن نصيحتهم ووصيتهم أفضل من غيرهم.

(٢١) أعظم الوصية على الإطلاق الوصية بتقوى الله لأنها تعني فعل الطاعات وترك المنهيات، فهي الدين بكامله.

(٢٢) دل على وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، حيث أكد ذلك بقوله" وإن تأمر عليكم عبد" .

(٢٣) السمع والطاعة لولي أمر المسلمين من تقوى لله سبحانه وتعالى، فيطاع عبادة لله ولذلك ذكر ﷺ السمع والطاعة بعد قوله " أوصيكم بتقوى الله".

(٢٤) ضابط طاعة ولي أمر المسلمين ما كان في حدود تقوى الله سبحانه، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الضابط والقيد يؤخذ من الربط بين قوله ﷺ " أوصيكم بتقوى الله" مع قوله ﷺ " والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد" .

(٢٥) الحديث يعالج تفرق وشق الصف وذلك بالاجتماع على تقوى الله وعلى إمام واحد.

(٢٦) يعتبر الحديث من معجزاته ﷺ لقوله " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً " وهذا ما حدث بعد وفاته بزمن من تفرق ووجود اختلاف.

(٢٧) كلما زاد البعد عن الرسالة النبوية كلما زاد الاختلاف لغلبة الجهل" فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا".

(٢٨) ذكر في الحديث علاجاً للفتن والافتراق والاختلاف بين المسلمين، ويتلخص العلاج في أمور:-

الأولى: تقوى الله "أوصيكم بتقوى الله" الثانية: السمع والطاعة " والسمع والطاعة"الثالثة: التمسك بالسنة " فعليكم بسنتي".الرابع: هجر البدع " وإياكم ومحدثات الأمور".

(٢٩) دل على حجية سنة الخلفاء الراشدين لأن النبي ﷺ نص عليها " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ".

(٣٠) فيه تزكية للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين لقوله " الراشدين المهديين"

(٣١) في الحديث التشديد على التمسك بالسنة وذلك:- لقوله " فعليكم بسنتي": ففيها أمر.- ولقوله " عضوا عليها": فلفظ العض يدل على التمسك في معناه- ولقوله " النواجذ" وهي الأضراس وهي أقوى الأسنان، فيشعر ذلك بقوة التمسك.

(٣٢) في الحديث التشديد على هجر البدع، وذلك:- لقوله "إياكم ": وهي كلمة تحذير.- ولقوله " كل ":وهي من ألفاظ العموم وقد أضيفت لما بعدها "بدعة" فاجتمع صيغتان للعموم "كل" والإضافة.- ولقوله " ضلالة ": وهي وصف لجميع البدع بالضلال، وهذا من الذم والتحذير.

[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ - العمل الذي يدخل الجنة]

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحْتُ قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ،فَقُلْتُ:يَا نَبِيَّ اللهِ،أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ،وَيُبْعِدُنِي عَنِ النَّارِ،قَالَ:«لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ،وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ،تُقِيمُ الصَّلَاةَ،وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ،وَتَصُومُ رَمَضَانَ،وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»،ثُمَّ قَالَ:«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ،وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ،وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ»،ثُمَّ تَلَا {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [السجدة:١٦] حَتَّى {يَعْمَلُونَ} [السجدة:١٧] ثُمَّ قَالَ:«أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟»،قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ،وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ،وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»،ثُمَّ قَالَ:«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»،قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ:«كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟،قَالَ:" ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ،وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ:عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ " رواه النسائي[٥٦]

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث إلى أن العمل الذي ينجى من النار ويدخل الجنة هو عبادة الله وحده دون من سواه مع القيام بما فرض الله على العبد من صلاة وزكاة وصوم وحج وأن الجامع لوجوه الخير صدقة التطوع والصوم والتهجد في جوف الليل،وأن رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة،وأعلاه الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله،وأن ملاك ذلك كله بأن يمسك الإنسان عن الكلام الذي يفسد هذه الأعمال إذا عملها.فليحذر كل مسلم إذا

---

[٥٦] - السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٢١٤)(١١٣٣٠) صحيح

(ذِروة سَنامه) سَنام الناقة: معروف،وذِروته أعلاه،والمراد: أعلى موضع في الإسلام،وأشرفه.=(بملاك ذلك) ملاك الأمر،قِوَامه،وما يتم به،تفتح ميمه وتكسر.=(حصائد ألسنتهم) الحصائد: جمع حصيدة،وهي ما يحصد من الزرع،شبه اللسان وما يقتطع به من القول بحدّ المنجل وما يقطع به من النبات.جامع الأصول (٩/ ٥٣٥)

عمل أعمالا صالحة أن يطلق لسانه بما ينفعها أو يبطلها فيكون من أصحاب النار نعوذ بالله من النار وكلت غضب الجبار.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة،كما قال تعالى:{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزخرف:٧٢] وأما حديث أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«قَارِبُوا وَسَدِّدُوا،وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ:«وَلَا أَنَا،إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[٥٧].

فالمراد أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة،لولا أن الله جعله بفضله ورحمته سببا لذلك،والعمل نفسه من فضل الله ورحمته على عبده،فالجنة وأسبابها كل من فضل الله ورحمته.

(٢) أن التوفيق بيد الله عز وجل،فمن يسر عليه الهداية اهتدى.ومن لم ييسر عليه، لم ييسر له ذلك..

(٣) ترتب دخوله الجنة على الإتيان بأركان الإسلام الخمسة،وهي:التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج..

(٤) فضل التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض.

(٥) إن الصدقة تكفر بها السيئات.

(٦) فضل الصلاة في جوف الليل.

(٧) إن الإسلام من الدين بمنزلة الرأس من الجسد،فكما أنه لا يبقى جسد بدون رأس فلا يصح دين إلا بالإسلام.

(٨) إن الصلاة من الإسلام بمنزلة العمود الذي تقام عليه الخيمة،فلا تستقيم الخيمة إلا به،فكذلك الصلاة لا يستقيم الإسلام إلا بالقيام بها.

---

[٥٧] – صحيح مسلم (٤/ ٢١٧٠)٧٦ – (٢٨١٦)

[ش (قاربوا) أي إن عجزتم عن طلب السداد فقاربوه أي اقربوا منه]

(٩) فضل الجهاد في سبيل الله وفضل الصوم وأنه جنة يقي صاحبه ويحفظه.

(١٠) أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله،فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك الذي هو أعظم الذنوب عند الله عز وجل،والقول على الله بغير علم،وهو قرين الشرك وشهادة الزور والسحر والقذف والغيبة والنميمة،وسائر المعاصي القولية.بل المعاصي الفعلية لا تخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها.

(١١) إن أكثر ما يكون سببا لدخول النار حصائد الألسن.

(١٢) جواز الدعاء المذموم الذي لا يراد حقيقته إذا كان معلوما عند المخاطب.

(١٣) شدة اهتمام معاذ رضي الله عنه بالأعمال الصالحة.

(١٤) الإنسان يسأل عن ما يريد ولو كان أمر عظيما.

(١٥) طالب العلم يسأل عما يخصه من الأسئلة النافعة، ولذلك الصحابي قال "اخبرني".

(١٦) السؤال يورد للعمل بالجواب ولذلك قال " أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار".

(١٧) المعلم ينبغي أن يمدح صاحب السؤال الجيد تشجيعاً له على سؤاله، ولذلك قال ﷺ لما سئل السؤال لقد سألت عن عظيم.

(١٨) المعلم يستعمل بعض الأساليب في تربيته مثل: - التشجيع " لقد سألت عن عظيم ".- التشويق " وإنه ليسير على من يسره الله له " مع قوله قبل ذلك " عظيم".

(١٩) أهمية الحديث، ويظهر هذا من صيغة السؤال "أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار" ومن بداية الجواب "لقد سألت عن عظيم" ولذلك جعله الإمام النووي رحمه الله من الأحاديث الأربعين لأنه يجمع أصولاً عديدة.

(٢٠) التوفيق كله بيد الله ومن عنده سبحانه يرزقه من يشاء ويمنعه ممن يشاء ولذلك قال " وإنه ليسير على من يسره الله له" وهذا يوجب الالتجاء إليه سبحانه وطلبها منه وبذل الوسع في ذلك.

(٢١) من فضائل أركان الإسلام أنها تدخل الجنة وتباعد عن النار.

(٢٢) دل الحديث على أن الأعمال من الإيمان.

(٢٣) تفسير الشهادتين العملي هو " تعبد الله لا تشرك به شيئا" بحيث تصرف جميع أنواع العبادة لله وحده.

(٢٤) العالم عليه أن يزيد في الجواب إن رأى الفائدة في ذلك، كما فعل النبي ﷺ في الحديث حيث زاد على الجواب.

(٢٥) الداعية عليه أن يختار الأسلوب الأمثل لنشر الخير بين الناس ودلالتهم عليه وتحبيبهم إليه، فقد قال الرسول ﷺ " ألا أدلك على أبواب الخير؟" فجمع عدة أساليب كالتحضيض والحث والاستفهام والتشويق.

(٢٦) فيه فضل الصوم وأنه حماية عن الشهوات والمحرمات وعلاج لها، ولذلك قال " الصوم جنة" وأطلق و لم يقيده.

(٢٧) الأعمال الصالحة تكفر الأعمال السيئة، فمن زلت به القدم في فعل محرم فليتبعه بحسنة.

(٢٨) جعل النبي ﷺ الصدقة بمترلة الماء الذي فيه الحياة والنماء، والصدقة كذلك فيها نماء للمال وتطهير له ولصاحبه من آفات الذنوب.

(٢٩) جعل النبي ﷺ الخطيئة بمترلة النار التي تحرق وتدمر، والخطيئة كذلك على صاحبها.

(٣٠) على المسلم أن ينوع العبادات ما بين صلاة وصيام وصدقة ونوافل حتى يفوز بجميع الفضائل التي ذكرت في الحديث.

(٣١) الحديث فيه حث على الإكثار من أعمال السر التي لا يطلع عليها إلا الله كالصيام والصدقة والصلاة في جوف الليل، وذلك لأنها أدعى للقبول والإخلاص والصدق.

(٣٢) فيه الاستشهاد من القرآن أثناء الكلمة كما فعل النبي ﷺ.

(٣٣) السنة تفسر القرآن، فقد فسر النبي ﷺ قوله " تتجافى جنوبهم عن المضاجع" بأنها صلاة الرجل في جوف الليل.

(٣٤) فيه فضل الصلاة والجهاد في الإسلام ولذلك كانتا عمود الأمر وذروة سنامه.

(٣٥) يدل على علو مترلة الجهاد ومرتبته "وذروة سنامه الجهاد" فأعلى الشيء سنامه وأعلى السنام ذروته والجهاد وكذلك.

(٣٦) فيه بيان خطر اللسان على الإنسان وفضيلة إمساك اللسان عن الخوض فيما لا ينبغي الخوض فيه،وأصل الخير كله كف اللسان لقوله " ألا أخبرك بملاك ذلك كله".

(٣٧) من أساليب التعليم:الإشارة أو التعليم المباشر. كما أخذ النبي ﷺ لسانه بيده وفي رواية " فأشار إلى لسانه".

(٣٨) دل على أن أكثر أسباب دخول النار هو اللسان فيجب الحذر منه.

(٣٩) الشريعة تربي أصحابها على العمل والفعل دون الكلام الذي لا معنى له ولذلك ذكر النبي ﷺ في أول الحديث أعمال كثيرة من الإيمان وختم الحديث بالتحذير من اللسان ويقصد مفاسده.

(٤٠) يربي الحديث المسلم على محاسبة لسانه قبل النطق بأي عبارة هل تقوده إلى النار على وجهه أم لا؟

(٤١) العالم يراعي الفروق بين التلاميذ، ولهذا لما كان السائل هنا معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو طالب علم شهد له النبي ﷺ بذلك أكثر له في الجواب وأوسع لعلمه بحاجته لذلك، ولما يكون السائل أعرابياً مثلاً يعطيه النبي ﷺ جواباً يناسبه، وهذا من العلم بحال التلاميذ.

(٤٢) الإنسان يوم القيامة يحصد ما زرع في الدنيا، يؤخذ هذا من قوله ﷺ " حصائد ألسنتهم" فليقم الإنسان على زرعه اليوم وليتعاهده وليصلح منه حتى يكون الحصاد يوم القيامة ثمرًا ناضجاً.

[الْحَدِيثُ الثَّلَاثُونَ - إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا]

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا،وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا،وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا،وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا».رواه الدَّارقطنيُّ[٥٨].

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث بأن الله سبحانه وتعالى فرض علينا فرائض وألزمنا القيام بها والمحافظة عليها فلا تخالف أوامر الله فنتركها أو نتهاون بها فندخل عليها النقص والخلل فلا نؤديها كاملة وأن الله سبحانه حد حدودا وأمرنا بأن لا نتجاوزها ونتعداها إلى ما لا يحل ولا يجوز لنا ارتكابه وحرم علينا أشياء فلا يجوز لنا تناولها ولا القرب منها،وسكت عن أشياء فلم يذكر لها حكما في حل ولا حرمة لا نسيان لبيان أحكامها، فربنا سبحانه لا يضل ولا ينسى فلا يبحث عن حكمها لأن الله سبحانه حكيم عليم يضع الأشياء بمواضعها الصالحة لها، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] فلا يترك شيئا إلا لحكمة.

ما يرشد إليه الحديث :

(١) إن الله تعالى فرض فرائض وأمر بالمحافظة عليها.

(٢) إن الله تعالى حرم أشياء فلا يجوز تناولها ولا القرب منها.

(٣) إن الله حد حدودا فلا تجوز مجاوزتها.

(٤) إن سكت سبحانه عن أشياء فلا يبحث ويسال عنها رحمة بالعباد لأنها حلال.

(٥) تقسيم أحكام الدين إلى أربعة أقسام:فرائض حقها ألا تضيع،ومحارم حقها أن لا تقرب،وحدود حقها عدم مجاوزتها،ومسكوت عنه حقه ألا يبحث عنه،وهذا يجمع

---

[٥٨] – سنن الدارقطني (٥/ ٣٢٦)(٤٣٩٦) حسن لغيره

أحكام الدين كلها،ومن عمل به حاز الثواب وأمن العقاب،ولهذا قال بعض العلماء:ليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من هذا الحديث..

(٦) دل الحديث على كمال الشريعة الإسلامية من جميع النواحي ولذلك تناسب جميع الأجيال على مر السنين، ومختلف العصور.

(٧) يدل على سهولة الشريعة الإسلامية، وأنها خالية من أمور تعجيزية بل هي باختصار فرائض تؤدي ومحرمات تترك.

(٨) دل الحديث على أن الإيجاب والتحريم كله من عند الله، فإذا استشعر المسلم ذلك صعب عليه القول على الله بلا علم، وتبين له خطر الفتوى.

(٩) فيه بيان رحمة الله سبحانه بعبادة لقوله " وسكت عن أشياء رحمة بكم ".

(١٠) تتريه الله سبحانه عن النسيان وكل صفة نقص وذم في حقه سبحانه.

(١١) النهي عن تتبع الدقائق وأن يكلف الإنسان نفسه ما لم يكلفه الله سبحانه، فيجوز للإنسان أن يشتري سلعة من البائع من غير أن يسأله من أين أتى بها؟ أو يستحلفه أنها له!!، ويجوز للإنسان أن يأكل المباحات وجميع الطيبات من غير تعمق وغلو في أصلها ومنشأها وما لم يترل الله به سلطان.

(١٢) المباحات في شريعة الإسلام أكثر بكثير من المنهيات ولذلك لم تذكر في الحديث لكبر حجمها، بل كل ما لم يكن منهياً عنه فهو مباح.

[الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ - ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ]

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ،قَالَ:أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ،وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» حديثٌ حسنٌ رَواهُ ابنُ ماجه[٥٩].

المعنى العام :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يرشده إلى عمل إذا عمله يكون سببا لمحبة الله له ومحبة الناس،فأرشده النبي ﷺ إلى عمل جامع شامل يسبب له محبة الله ومحبة الناس.فقال له ﷺ:"ازهد في الدنيا".أي فلا تطلب منها إلا ما تحتاجه وتترك الفاضل.وها لا ينفع في الآخرة وتتورع مما قد يكون فيه ضرر في دينك وازهد في الدنيا التي يتعاطاها الناس،فإذا صار بينك وبين أحد منهم حق أو عقد من العقود فكن كما ورد في الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى، سَمْحًا إِذَا قَضَى»[٦٠]

لتكون محبوبا عند الناس ومرحوما عند الله.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن الزهد في الدنيا من أسباب محبة الله تعالى لعبده،ومحبة الناس له..

(٢) أنه لا بأس بالسعي فيما تكتسب به محبة العباد مما ليس بمحرم،بل هو مندوب إليه،كما يدل عليه الأمر بإفشاء السلام،وغير ذلك من جوالب المحبة التي أمر بها الشارع..

(٣) على الإنسان أن يعامل الناس معاملة حسنة لتكون سببا لمحبته.

---

[٥٩] – سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣)(٤١٠٢) صحيح لغيره

[٦٠] – صحيح ابن حبان – مخرجا (١١/ ٢٦٧) (٤٩٠٣) صحيح

(٤) يجب على المؤمن أن يسعى لأن يكون محبوباً عند الله وعند الناس.

(٥) البحث عن محبة الناس لا يناقض محبة الله ولا يعارضها فإن المسلم طيب محبوب عند الله

ومحبوب عند الناس وفي المجتمع.

(٦) دل على أن الزهد في الدنيا يجلب محبة الله.

(٧) دل على أن الزهد في ما عند الناس يجلب محبة الناس.

(٨) الزهد من أعمال القلب كما قاله أحمد رحمه الله.

(٩) من أراد معرفة الزهد الحقيقي في الدنيا فلينظر إلى زهده ﷺ فإنه يجد أن حقيقة الزهد ألا يتعلق قلبه بالدنيا فيحبها ولا يعارض هذا طلب الرزق فيها والادخار من المال والطعام كما كانت حياته ﷺ.

(١٠) الزهد فيما عند الناس يقتضي عدم تعلق القلب بما في أيدي الناس وقطع النفس من النظر لهم والتطلع لما عندهم ومداهنتهم في دين الله رجاء ما في أيديهم ولا يمنع هذا المبايعة والمتاجرة معهم والكسب وغير ذلك.

(١١) دل على أن من تعلق بالدنيا وقدمها لم يحبه الله، لأنه سيقدم الدنيا على أمر الله.

(١٢) دل على أن الناس يكرهون من طلب منهم وسألهم ما في أيديهم، وهذا مستقر في فطر الناس وقلوبهم.

(١٣) من زهد في الدنيا تعلق بما عند الله لأن القلب لا بد له من متعلق يتعلق به ويثق به ويطمئن إليه ولهذا من زهد في الدنيا أحبه الله.

(١٤) الحديث بين حقيقة الناس وأنهم يحبون ما في أيديهم ويبغضون من سألهم إياه،ويسعون لمصالحهم ولو على حساب دين غيرهم، ولا يؤدون الحقوق الواجبة منهم، هذه حالهم فمن عرفها كيف يتعلق بهم ويرجوهم ويقدم طاعتهم على طاعة الله؟!!

[الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ - لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ..» حديثٌ صحيح لغيره ،رَوَاهُ ابنُ ماجه والدَّارقطنيُّ[٦١]

المعنى العام :

يخبرنا ويأمرنا النبي الكريم ﷺ لمصالح عامة، وهي أنه لا ضرر ولا ضرار وينبني على ذلك كثير من العقود والمنافع العامة.فيجب على كل إنسان أن لا يضر بأخيه المسلم سواء في نفسه أو ماله أو ولده.وسواء ظاهرا أو باطنا،بل عليه أن يسعى في نفع الغير إذا لم يلحقه ضرر بسبب نفعه.وإن من لحقه ضرر من أحد فلا يجازيه بأكثر مما ضره به {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } [النحل: ١٢٦] كان صبر على ما أصابه من الضرر من الغير وعفا عنه فسيجد ثواب صبره وعفوه عند الله {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن الضرر يزال،وينبني على ذلك كثير من أبواب الفقه،كالرد بالعيب،وغيره مما يدخل تحت هذه القاعدة المأخوذة من الحديث..

(٢) منع التصرف في ملك الإنسان بما يتعدى ضرره إلى الغير على غير الوجه المعتاد،مثل أن يؤجج في أرضه نارا في يوم عاصف فيحترق ما يليه،فإنه متعد بذلك وعليك الضمان..

(٣) الأخذ بالآداب العالية والأخلاق الفاضلة نحو بني آدم.

---

[٦١] – سنن ابن ماجه (٢/ ٧٨٤) (٢٣٤٠) و(٢٣٤١) وسنن الدارقطني (٤/ ٥١)(٣٠٧٩ و٤٥٣٩) من طرق صحيح لغيره

[ش – (لاضرر ولاضرار) الضرر خلاف النفع. والضرار من الإثنين فالمعنى ليس لأحد أن يضر صاحبه بوجه. ولالاثنين أن يضر كل منهما بصاحبه ظنا أنه من باب التبادل فلا إثم فيه.]

(٤) النهي عن المجازاة بأكثر من المثل

(٥) أن ما أمر الله به عباده هو عين صلاح دينهم،ودنياهم.وما نهاهم عنه هو عين فساد دينهم،ودنياهم،و لم يأمرهم بشيء يضرهم،ولذلك أسقط الطهارة بالماء عن المريض،وأسقط المطالبة بالدين عند إعسار المدين إلى الميسرة،إلى غير ذلك مما يدل على أن شريعتنا سمحة.

(٦) فيه دليل على رفع الحرج في الشريعة الإسلامية.

(٧) يدل على يسر الإسلام وسهولة أحكامه.

(٨) يحرم الإضرار بالغير بجميع الصور والأشكال، ولذلك أطلق الضرر في الحديث و لم يقيد بقيد.

(٩) أحكام الإسلام الشرعية وتكاليفه لا ضرر فيها.

(١٠) من مقاصد الإسلام منع الضرر قبل وقوعه ورفعه بعد وقوعه.

(١١) يربي في النفس عدم حب الذات ولو على حساب غيره من الناس.

(١٢) يدل المسلم على مراعاة غيره من الناس واحترامهم في جميع أمور الحياة وشؤونها.

(١٣) يزرع الألفة بين المسلمين والمحبة والأخوة لأنه ينفي الضرر بجميعه.

(١٤) يعتبر الحديث قاعدة عامة فكل أمر كان فيه ضرر فيحرم شرعاً.

[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ -البَيِّنَةُ على المُدَّعي واليَمينُ على مَنْ أَنْكر]

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ،قَالَ:كُنْتُ قَاضِيًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الطَّائِف،فَذَكَرَ قِصَّةَ الْمَرْأَتَيْنِ،قَالَ:فَكَتَبْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ،فَكَتَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ،وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي،وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ".حديثٌ حسنٌ،رواهُ البَيهقيُّ[٦٢]

المعنى العام :

يخبرنا النبي الكريم ﷺ لو أن كل واحد من الناس أعطى ما يدعيه ويهواه لتوصل بعض الناس إلى أن يدعي أن مال فلنن له.والآخر يدعي أن فلانا قتل ابنه عمدا ليقاد به فيختل النظام، ويغلب القوي الضعيف.وتحل الفوضى والفتن،ولكن من حكمة الشرع بأن جعل البينة على مدعي الحق لأنه يدعي خلاف الظاهر.وأن على المنكر اليمين لأن الأصل براءة الذمة ليستتب الأمن وتحفظ الحقوق والنفوس.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إنه لا يحكم لأحد بمجرد دعواه وهواه.

(٣) إنه لا يجوز الحكم إلا بما ورد بالشرع، وإن غلب على الظن صدق المدعي.

(٣) إن اليمين على المدعى عليه إذا أنكر والبينة على المدعى.

(٤) في هذا الحديث مراعاة مصالح الناس عامة من حفظ دمائهم وأموالهم وإصلاح مجتمعهم،وعدم اختلافه واستتباب الأمن في البلاد والعباد.

(٥) يدل الحديث على أن أحكام الشريعة معللة أي لها علة وحكمه، فالبينة قررت في الشريعة حتى لا يدّعي رجال دماء رجال وأموالهم.

---

[٦٢] – السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٤٢٧) (٢١٢٠١) صحيح لغيره

(٦) يدل أيضاً على أن الله حكيم بعبادة خبير بهم شرع لهم من الأحكام مـــا يناســـبهم ويتناسب مع طبيعتهم.

(٧) قد يوجد من الناس من لا رادع عنده ولا تقوى فيدّعي دماء أناس وأموالهم.

(٨) يربي الناس على وجوب التثبت حتى في صغائر الأمور.

(٩) يقيد الحديث إطلاق التهم على الناس ورواج الشائعات بوجود البينة، فمن وجـــد بينه فله الحق في الإدعاء، أما بمجرد الظن والخرص فلا يبيح للإنسان الدعوى.

(١٠) دل على أن كل دعوى لا دليل عليها لا تقبل.

(١١) الأصل براءة الإنسان المسلم من كل تهمة ونقيصة حتى تثبت بينة.

(١٢) القاضي يحكم بما ظهر له من الأمر ببينه أو يمين، ولا يأثم إن بذل وسعه واجتهـــد لكنه خالف حقيقة الأمر وباطنه.

(١٣) الحديث أصل في باب القضاء.

(١٤) الشرع يوازن بين الحفاظ على حرمات المسلمين ولذلك حرم مجرد إطلاق التهم، وبين إيصال الحقوق لهم ولذلك أوجب البينة، وهذا هو العدل الذي أمر الله به.

(١٥) الشرع يربي الناس على تعظيم الله ومراقبته ولذلك اكتفى من المدعى عليه بمجـــرد اليمين لأن المسلم يعظم الله والحلف به، فلديه الرضا بأن يغرم شريطة ألاّ يحلـــف بـــالله كاذباً.

(١٦) الحديث يربي المسلم على الرضا بالحلف بالله، فالمدعي إذا لم يكن له بينة وحلـــف المدعي عليه فعليه أن يرضى تعظيماً لليمين.

[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ - مراتب تغيير المنكر]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»..رواهُ مُسلمٌ[٦٣]

المعنى العام:

يفيدنا هذا الحديث بفائدة عامة نافعة لمن قام بها ضارة لمن لم يعمل بها وهي أن كل إنسان إذا علم منكرا فيجب عليه إزالته على حسب استطاعته فإن قوي على أعلى مراتب إزالة المنكر باليد فليفعل سواء حقيقة أو بيد غيره بأمره،ومن عجز عن ذلك فليغيره بلسانه بأن ينهى مرتكبه ويبين له ضرره ويرشده إلى الخير بدل هذا الشر فإن جز عن هذه المرتبة فليغيره بقلبه بأن يكره هذا المنكر وصاحبه على فعله ولو قدر على إزالته باليد أو باللسان لأزاله والتغيير بالقلب أضعف مراتب الإيمان في تغيير المنكر لأنه لا يتعدى نفعه إلى غير صاحبه فهذه المراتب الثلاث لا تسقط إحداها عن أحد،ولا عذر لمن اعتذر عن أقلها وهو الإنكار بالقلب.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) وجوب تغيير المنكر بكل ما أمكنه مما ذكر،فلا يكفي الوعظ لمن تمكنه إزالته بيده،ولا القلب لمن تمكنه إزالته باللسان..

(٢) أن من قدر على خصلة من خصال الإيمان،وفعلها أفضل ممن تركها عجزا،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،قَالَ:خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى،فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ،فَقَالَ:«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ:وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ،وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ،مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»،قُلْنَ:وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«أَلَيْسَ

---

[٦٣] - صحيح مسلم (١/ ٦٩) ٧٨ - (٤٩)

شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ:بَلَى،قَالَ:«فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا،أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ:بَلَى،قَالَ:«فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[٦٤]

فدل على أن من قدر على الواجب وفعله أولى،وأفضل ممن تركه عجزا،أو معذورا..

(٣) أن الإنكار إنما يتعلق بتحقيق الشيء،وليس على الآمر بالمعروف،والناهي عن المنكر اقتحام الدور بالظنون،إلا إذا أخبره من يثق بقوله:أن رجلا خلا برجل ليقتله،أو بامرأة ليزني بها،أو نحو ذلك مما لا يتدارك،فإنه يجب عليه البحث خوف الفوات..

(٤) أن عدم إنكار المنكر بالقلب دليل على ذهاب الإيمان منه ،عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،قَالَ:جَاءَ عَتْرِيسُ بْنُ عُرْقُوبٍ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى عَبْدِ اللهِ،فَقَالَ:هَلَكَ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ،فَقَالَ:«بَلْ هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبُهُ الْمَعْرُوفَ وَيُنْكِرْ قَلْبُهُ الْمُنْكَرَ»[٦٥].

(٥) إن من لم يقم بتغيير المنكر عند تحققه وعدم المانع أنه يأثم حيث إنه لم يزله.

(٦) إن لتغيير المنكر درجات فلا يغيره أحد إلا بالذي يستطيع.

(٧) يربي الحديث جميع المسلمين على تحمل المسؤولية، وأن كل شخص منهم يعنيه أمر غيره ومجتمعه ولذلك قال "من رأى منكم منكرًا فليغيره".

(٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع لصيغة العموم في الحديث " من "لكن يقيد على حسب الاستطاعة والقدر لقوله " فإن لم يستطع" حيث علق الأمر على الاستطاعة.

(٩) يربي المجتمع على معالجة الأخطاء التي يرونها وألاّ يقف الشخص حائرًا كأن الأمر لا يعنيه.

(١٠) يدل على أن المنكرات تقع في المجتمع الإسلامي لكن يجب ألاّ تقر وتصبح مألوفة.

(١١) تغيير المنكر على درجات مختلفة وليس درجة واحدة.

---

[٦٤] – صحيح البخاري (١/ ٦٨)(٣٠٤)

[٦٥] – المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٠٧)(٨٥٦٤) صحيح

(١٢) إذا لم يستطع المسلم أمرًا من الأمور فعليه أن بحيث عن أمر آخـــر يقـــدر عليـــه ولذلك قال في الحديث " فإن لم يستطع" مرتين في الحديث.

(١٣) درجات تغيير المنكر دليل على أن الله لا يكلف الإنسان إلاّ ما يستطيع، أما مـــا كان خارجاً عن قدرته فلا يطالب شرعاً به.

(١٤) يدل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص فمن أنكر بقلبه ليس كمن قدر علـــى تغييره.

(١٥) قوله " من رأى " يدل على أن المنكر مشاهد وظاهر، أمـــا إن أســـره صـــاحبه وأخفاه فلا يجوز التصنت والتتبع إلاّ إن دلت (القرائن) والشـــواهد فيكـــون في حكـــم الظاهر.

(١٦) قوله "فبقلبه" يدل على أن المنكر لا يرضى به ولا يقر ولو بالقلب الذي لا يطلـــع عليه إلاّ الله.

(١٧) الحديث دليل على أن القلب له عمل في الإيمان، فمن عمله إنكار المنكر وعـــدم الرضا به.

[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ - لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا تَحَاسَدُوا،وَلَا تَنَاجَشُوا،وَلَا تَبَاغَضُوا،وَلَا تَدَابَرُوا،وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ،وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ،وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ،دَمُهُ،وَمَالُهُ،وَعِرْضُهُ».رواه مسلم[٦٦].

المعنى العام :

في هذا الحديث يرشدنا النبي الكريم ﷺ إلى ما يجب علينا معشر المسلمين بأن نكون متحابين متآلفين متعاملين فيما بيننا معاملة حسنة شرعية تهدينا إلى مكارم الأخلاق وتبعدنا عن مساوئها وتذهب عن قلوبنا البغضاء وتجعل معاملة بعضنا لبعض معاملة سامية خالية من الحسد والظلم والغش وغير ذلك مما يستجلب الأذى والتفرق لأن أذية المسلم لأخيه حرام سواء بمال أو بمعاملة أو يد أو لسان، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وإنما العز والمشرف بالتقوى.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) تحريم الحسد،والتباغض،والتدابر،وبيع البعض على بيع البعض..

(٢) النهي عن إيذاء المسلمين بأي وجه من الوجوه من قول أو فعل أو إشارة.

(٣) النهي عن ما يوجب التباس والأمر بما يسبب التآلف والاجتماع.

---

[٦٦] - صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦) ٣٢ - (٢٥٦٤)

[ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه و لم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته]

(٤) أن من حقوق المسلم على المسلم نصره إذا احتاج إليه،سواء كان ذلك الأمر دنيويا مثل أن يقدر على دفع عدو يريد أن يبطش به،فيجب عليه دفعه،أو دينيا مثل أن يقدر على نصحه عن غيه بنحو وعظ فيجب عليه حينئذ النصح،وتركه هو الخذلان المحرم..

(٥) إن عمدة التقوى ما في القلب من عظمة الله،وخشيته ومراقبته،ولا اعتبار بمجرد الأعمال الصالحة بدون ذلك.

(٦) تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم إلا بحق.

(٧) في هذا الحديث الآداب الحميدة والأخلاق الفاضلة لمن وفق.

(٨) النهي عن الأهواء المضلة،لأنها توجب التباغض.

(٩) الأمر باكتساب ما يصير به المسلمون إخوانا على الإطلاق،ويدخل في ذلك أداء حقوق المسلم على المسلم:كرد السلام،وابتدائه،وتشميت العاطس،وعيادة المريض،وتشييع الجنائز،وإجابة الدعوة،والنصح.

(١٠) التحذير من تحقير المسلم،فإن الله لم يحقره إذ خلقه،وسخر له ما في السماوات وما في الأرض،وسماه مسلما،ومؤمنا،وعبدا،وجعل الرسول منه إليه محمدا ﷺ.فمن حقر مسلما من المسلمين فقد حقر ما عظمه الله تعالى.

(١١) الحديث يربي المجتمع المسلم على الأخوة الحقة.

(١٢) الأخوة الشرعية الحقيقية هي التي لا تباغض فيها ولا تحاسد ولا تقاطع.

(١٣) دل على أن الأخوة بين المسلمين وجمع الكلمة أمر مقصود من مقاصد الشريعة.

(١٤) الشرع يحرم كل ما من شأنه خدش الأخوة من حسد وتقاطع وغيره.

(١٥) المعاملات الدنيوية من بيع وشراء ونكاح يجب أن يراعى فيها جانب الأخوة ولذلك حرم الشرع بيع المسلم على بيع أخيه وشراؤه ونكاحه على أخيه المسلم لما يتسبب ذلك من قطع للمودة وزرع للبغضاء.

(١٦) دل على وجوب النصح للمسلم وصفاء القلب له.

(١٧) يحرم ظلم المسلم لأخيه وخذلانه له والكذب عليه واحتقاره، لأنها جميعاً تخالف معنى الأخوة الشرعي.

(١٨) تربية النفس على الأخوة الشرعية يعالج الكبر الذي هو غمط الناس واحتقارهم، فإذا نظر إليهم على أنهم أخوة له فيجب عليه محبتهم ونصرتهم ذهب عنه بإذن الله الكبر.

(١٩) الميزان في الإسلام ميزان التقوى، والتفاضل يكون بينهم على أساسها، وليس لأي أمر من أمور الدنيا، ولذلك قال " التقوى ها هنا".

(٢٠) محل التقوى في القلب وتظهر آثارها على الجوارح، ولهذا أشار إلى صدره عندما ذكر التقوى.

(٢١) بين الحديث خطر احتقار المسلم لأخيه المسلم، لأنه ينافي المحبة الواجبة له إضافة إلى أنه نوع كبر وقد حرمه الله.

(٢٢) الإسلام لا يقيم لأمور الدنيا من مال وجاه أي اعتبار في حال التفاضل بين المسلمين،لأنها من فضل الله يؤتيه الله من يشاء، فلا يغتر الإنسان بما آتاه الله وإنما الاعتبار للتقوى فليحاسب الإنسان نفسه عنها.

(٢٣) دل على من أعطي من الدنيا لا يدل على فضله عند الله، وإنما الفضل لمن أعطي من أمور الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

(٢٤) يحرم الاعتداء على المسلمين سواء بمالهم أو أعراضهم أو دمائهم وأنفسهم.

(٢٥) يجب حفظ غيبة الأخ المسلم في حال غيابه خاصة، فلا يستغل غيابه ويستبيح عرضه بل يجب حفظ عرضه في غيبته كما في حال حضوره.

(٢٦) الحديث يقتضي إيصال النفع للأخ المسلم.

(٢٧) تقوى الله تقتضي حفظ حقوق الأخوة الإسلامية، ولذلك نص عليها النبي ﷺ في هذا الحديث بقوله " التقوى ها هنا " وذكر قبلها وبعدها شيئاً من الحقوق الإسلامية.

[الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ -مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا،نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ،يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا،سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ،وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا،سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ،يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ،إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ،وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ،وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ،لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رواهُ مسلمٌ[٦٧].

المعنى العام :

يفيدنا هذا الحديث الشريف أن من فرج كربة عن مسلم أو سهل أمرا متعسرا عليه أو ستر عليه هفوة أو زلة لم يعرف بها فإن الله يجازيه من جنس أعماله التي نفع بها وإن الله تعالى يعين العبد بتوفيقه في دنياه وآخرته حينما يساعده أخاه المسلم على أموره الشاقة عليه،وأن من سلك طريقا حسيا كالمشي إلى مجالس الذكر أو مجالس العلماء المحققين العاملين بعلمهم يريد التعلم وسلك الطريق المعنوي المؤدي إلى حصول هذا العلم كمذاكراته ومطالعته وتفكيره وتفهمه لما يلقى عليه من العلوم النافعة وغير ذلك،فمن سلك هذا الطريق بنية صالحة صادقة وفقه الق للعلم النافع المؤدى إلى الجنة،وأن المجتمعين في بيت من بيوت الله لتلاوة القرآن العزيز ومدارسته يعط! يهم الله من الطمأنينة وشمول الرحمة وحضور الملائكة والثناء عليهم من الله في الملأ الأعلى وأن الشرف كل الشرف بالأعمال الصالحة لا بالأنساب والأحساب.

---

[٦٧] – صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤) ٣٨ – (٢٦٩٩)

[ش (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) معناه من كان عمله ناقصا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل]

ما يرشد إليه الحديث:

(١) فضل من نفس عن أخيه المسلم كربة ومصيبة من المصائب.

(٢) فضل قضاء حاجات المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم.أو جاه أو مال،أو إشارة،أو نصح،أو دلالة على خير،أو إعانة بنفسه،أو بوساطته،أو الدعاء بظهر الغيب..

(٣) الترغيب في ستر المسلم الذي لم يكن معروفا بالفساد أما المعروف الذي لا يبالي ما ارتكب منه،ولا بما قيل له،فلا يستر عليه،بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة،لأن الستر على ذلك يطغيه في الفساد وانتهاك الحرمات،ويجزئ غيره على مثل فعله.وهذا كله إنما هو في معصية انقضت،أما التي رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها،ومنعه منها على من قدر على ذلك،ولا يحل له التأخير،فإن عجز لزمه رفع ذلك إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة..

(٤) إن الجزاء قد يكون من جنس العمل كما في الحديث.

(٥) إن على الإنسان مساعدة أخيه على إنشاء الأمور التي فيها خير له أو هو مستمر فيها وهى شاقة عليه.

(٦) فضل الاشتغال بطلب العلم والانتقال له من بلد إلى بلد آخر.

(٧) فضل الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته بينهم لشمولهم بالرحمة وحضور الملائكة معه.

(٨) إن العزة والشرف والسعادة بالأعمال الصالحة لا بالأنساب والأحساب.

(٩) إن المساجد تسمى بيوت ألله.

(١٠) إنما المؤمن معرض للمصائب وارتكاب المشقات في سبيل منافعه.

(١١) الترغيب في التيسير على المعسر.والأحاديث في فضل ذلك كثيرة ،فعَنْ عَبْد اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ،أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ،قَالَ:إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ،أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»[٦٨].

(١٢) أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه فينبغي له أن لا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق،إيمانا بأن الله تعالى في عونه.

(١٣) أن الجزاء تارة يكون من جنس الفعل.

(١٤) في الحديث الحث على المسارعة في تنفيس الكرب وتيسير العسير والستر على المسلمين.

(١٥) قوله " من نفَّس ":التنفيس: التخفيف، فيدل على أن المسلم عليه أن يسعى في تخفيف الكرب عن المسلمين ولو لم تزل الكربة بكاملها.

(١٦) جاء في رواية " من نفَّس" وفي رواية " من فرَّج" فتدل الروايتان على أن المسلم عليه أن يسعى إما لتفريج الكربة فإن لم يستطيع فتنفيسها وتخفيفها على أقل تقدير.

(١٧) من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وكلما أكثر العبد في تنفيس الكرب عن المؤمنين نفّس الله عنه كرباً كثيرة يوم القيامة، ففي ظاهر الحديث حث على التكثير من السعي في تفريج الكرب.

(١٨) يقتضي الحديث تفقد المسلمين من حيث الحوائج والكرب والإعسار، فيكون المؤمن حي القلب تجاه إخوانه يسمع أخبارهم، ويتفقد حوائجهم.

(١٩) يربي المجتمع على المحبة والأخوة بينهم، فإن مساعدة المحتاج وتفريج الكربات من الإيمان.

(٢٠) فيه فضل تنفيس الكربات والتيسير على المعسر والستر على المسلم.

---

[٦٨] – صحيح مسلم (٣/ ١١٩٦)٣٢ – (١٥٦٣)

[ش (كرب) جمع كربة وهي الغم الذي يأخذ بالنفس (فلينفس) أي يمد ويؤخر المطالبة وقيل معناه يفرج عنه]

(٢١) الحديث تفسير عملي لقوله ﷺ" الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" فمعونة الأخ تقتضي تفقد حوائجه ومساعدته وتفريج كربته.

(٢٢) من أراد معونة الله وتوفيقه فليسع في إعانة غيره من المسلمين لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

(٢٣) يبين الحديث حياة المجتمع المسلم بين أفراده، الغني يساعد الفقير، الجار يسعى لكسب مودة جاره والموسر يوسع على المعسر، بخلاف المجتمع الغربي اليوم، الوالد لا يعرف ابنه فضلاً عن جاره، الحي الواحد متفكك، الواحد منهم يسعى ويكدح ويتفانى لكن لنفسه فقط، ولا يعرف إلاَّ نفسه،فالحمد لله الذي فضلنا بالإسلام.

(٢٤) فيه الحث على طلب العلم،لقوله ﷺ " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما " .

(٢٥) فيه تربية لطالب العلم على سلوك الطرق الموصلة للعلم، والسفر، والغربة لأجله.

(٢٦) طلب العلم الشرعي يوصل للجنة، لأن العلم النافع يورث العمل الصالح.

(٢٧) في الحديث الحث على الجليس الصالح الذي يجتمع معه لتدارس كتاب الله.

(٢٨) فيه الحرص على تتبع حلق العلم ومجالس الذكر لما فيها من الخير العظيم، فمن حضر مجلس علم أو حلقة ذكر ثم تركها فقد حرم نفسه.

(٢٩) فيه أن المسجد ليس خاصاً بالصلاة، بل تعقد فيه مجالس العلم وحلق الذكر وحفظ القرآن وتدارس العلم لقوله " في بيت من بيوت الله " فينبغي للأئمة أن يجعلوا المساجد والجوامع مجالس علم وذكر.

(٣٠) فضل مجالس الذكر وتدارس العلم حيث تترل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده.

(٣١) المنهج السليم لقراءة القرآن وحفظه هو تلاوته ومن ثم تدارسه ومعرفة معانيه،ولذلك قال ﷺ " يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم".

(٣٢) تلاوة القرآن وتدارسه يورث السكينة والطمأنينة لقوله " إلاَّ نزلت عليهم السكينة"

(٣٣) المسارعة في الإسلام تكون بالعمل لا بالنسب ولذلك قال ﷺ " ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ".

(٣٤) التفاضل بين أهل الإسلام بالنسب غير معتبر شرعاً أبدًا فلا يقدم ولا يؤخر عند الله، ولهذا كان التفاخر بالنسب من أمور الجاهلية التي حرمها الله.

(٣٥) الحديث يدل على أن المسلم عليه ألاَّ يتبع عثرة أخيه المسلم وسقطته ومن ثم ينشرها ويشهرها، بل يسترها.

(٣٦) دل على أن من ذكر الله ذكره الله في الملأ الأعلى.

(٣٧) جزاء الله أعظم من عمل العبد، وهذا من فضله سبحانه فالعبد يعمل العمل الصغير فيتقبله الله ثم يجازيه الجزاء الأعظم.

[الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ - إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:قَالَ:«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ،فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً،فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ،وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً،فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».رَوَاهُ البُخارِيُّ ومُسلمٌ[٦٩] .

المعنى العام :

في هذا الحديث القدسي البشرى العظيمة للمسلمين حيث إن من هم بحسنة فلم يعملها يكتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها من أجل خوف الله وعقابه كتبها الله له حسنة لعدم إقدامه عليها،وإن عملها كتبها الله تعالى سيئة واحدة،فانظر يا آخى المسلم وفقك الله إلى كل خير...إلى فضل الله على عباده حيث إن الله سبحانه يعطي لمن يعمل الحسنات هذا الفضل العظيم المضاعف مؤكدا سبحانه بأنه محفوظ عنده تعريفا لصاحبه، والسيئة إذا فعلت أكدها بأنها تكتب واحدة فقط و لم يؤكدها بكاملة ولا عنده لعدم الاعتناء بها، فلله الحمد على نعمه التي لا تحصى ولا تعد قال تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل:١٨].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) استعمال التفصيل بعد الإجمال ليكون أوقع في النفس وأدعى للقبول.

---

[٦٩] - صحيح البخاري (٨/ ١٠٣) (٦٤٩١) وصحيح مسلم (١/ ١١٨) ٢٠٧ - (١٣١)

[ش (كتب) قدر. (بين ذلك) وضحها وكشف اللبس عنها وفصل حكمها. (هم) قصد وحدث نفسه. (فلم يعملها) أي الحسنة لعائق حال بينه وبين فعلها أو السيئة خوفا من الله عز وجل. (ضعف) مثل. (كاملة) أي لم تنقص بسبب الهم والقصد إلى فعلها]

(٣) إن ما يعمله الإنسان في هذه الدنيا من الحسنات والسيئات قد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ.

(٣) من فضل الله تعالى على عباده أن من عزم على فعل حسنة ثم تركها فلم يعملها لعدم قدرته على تنفيذها كتبت له حسنة كاملة.

(٤) إن من عزم على فعل حسنة وعملها فهو يضاعف أجرها لصاحبها بعشرة أضعاف إلى أضعاف كثيرة.

(٥) أن السيئة تكتب بمثلها من غير مضاعفة ولا ينافي ذلك أنها تعظم بشرف الزمان والمكان،أو قوة معرفة الفاعل لله وقربه منه..

(٦) إن الله شرف صاحب الحسنات بكتب حسناته عنده إشارة إلا قربه إليه.

(٧) إن من عمل السيئات وداوم على فعلها و لم يأت بحسنات تمحوها فهو بعيد من الله سبحانه.

(٨) أن الهم بالسيئة من غير عمل يكتب حسنة،لكن الترك الذي يثاب عليه هو الترك مع القدرة لوجه الله عز وجل،لما في بعض روايات هذا الحديث " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً،فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ،فَإِذَا عَمِلَهَا،فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً،فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا،فَإِذَا عَمِلَهَا،فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا " وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ:رَبِّ،ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً،وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ،فَقَالَ:ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا،وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً،إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ " وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:«إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ،فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ،وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ»[٧٠]..

---

[٧٠] – صحيح مسلم (١/ ١١٧)٢٠٥ – (١٢٩)

[ش (من جراي) بالمد والقصر لغتان معناه من أجلي]

(٩) بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة،إذ لو ما ذكر في الحديث لعظمت المصيبة،لأن عمل العباد للسيئات أكثر.

(١٠) أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب،خلافا لمن قال إنهم لا يكتبـــون إلا ألأعمـــال الظاهرة.

(١١) أن التضعيف لا يتقيد بسبعمائة.

(١٢) فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على أن الله كتب الحسنات والسيئات علـــى الإنسان وقدرها وشاءها، لقوله " إن الله كتب الحسنات " .

(١٣) فيه حث على النية الصادقة في فعل الخيرات، فمن هم ّبحسنة كتبها الله ولـــو لم يعملها الشخص فيكون المسلم ما بين عمل صالح ونية صادقة.

(١٤) العمل الصالح يضاعفه الله إلى عشر حسنات ثم إلى سبعمائة ضعف ثم إلى أضعاف كثيرة.

(١٥) الهم بالحسنة يكتبه الله لصاحبه.

(١٦) فعل الحسنة بعد الهم بها أفضل من مجرد الهم، ففرق بين حسنة يكتبها الله حســـنة واحدة وبين أن تضاعف إلى أضعاف كثيرة.

(١٧) فيه لطف الله سبحانه وتعالى بعباده كما ذكره النووي رحمه الله.

(١٨) الترغيب من أساليب الدعوة إلى الله.

(١٩) يربي في المؤمن جانب الرجاء وهو من أعمال القلوب، لأنه يورث حسن الظـــن بالله ويقود للعمل.

(٢٠) لا تعارض بين أن الله كتب السيئات على الإنسان وبين أنه يعاقبه عليها، لقوله " فعملها " فنسب العمل للإنسان نفسه مع إرادته واختياره وبيان الله له أعظم بيان لفضل الحسنات وما أعده الله لمن عمل حسنة، فمن ترك بعد ذلك وذهب للسيئات باختيـــاره فلا يلومن ّإلاً نفسه.

(٢١) فيه إطلاع الله على مجرد هم الإنسان ومن باب أولى أعماله، فسبحان من لا تخفى عليه خافيه.

(٢٢) يزيد في جانب الحياء عند المؤمن لأن الله مطلع على سريرته بل وعمله السيئات،فمن استحضر هذا زاد حياؤه من الله سبحانه.

(٢٣) من فضل السيئات وعملها بعد هذا الحديث فقد فرّط أعظم تفريط، وقامت عليه الحجة.

(٢٤) يدل على كمال غنى الله سبحانه وتعالى، فإنه يجازي بالهم بالحسنة وبمضاعفة الحسنة ولا ينقص مما عنده شيئاً.

(٢٥) يوجب الحديث شكر المولى سبحانه وتعالى على صفاته العظيمة كما قال النووي رحمه الله: "فلله الحمد والمنة سبحانه لا يحصي ثناء عليه" أ.هـ.

(٢٦) يكتب الله الحسنات والسيئات التي يعملها الإنسان حتى تقام الحجة عليه من نفسه وتحقيقاً لكمال العدل فلا يظن من عمل السيئات ونسيها أنها غابت وفاتت ونسيت بل كتبها الله وحفظها إن لم يتدارك نفسه بتوبة.

(٢٧) يربي في المسلم الخوف من الله لقوله " فمن هم بسيئة فلم يعملها " أي خوفاً من الله،والخوف من مقامات القلوب.

(٢٨) فيه فضل الخوف من الله ومراقبته سبحانه، فقد كتب لمن ترك السيئة خوفاً من الله كتبها له حسنة فهذا الذي يورثه الخوف من الله سبحانه ومطالعته ومراقبته.

(٢٩) الإنسان مع بيان فضل الله قد يغلبه هواه ونفسه والشيطان فيقع في الذنب، لكن من فضل الله ورحمته أنه يكتبها عليه سيئة واحدة، فإن تاب تاب الله عليه.

[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ -..مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ قَالَ:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْب،وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه،وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ:كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِه،وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه،وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ،يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ".رواهُ البخاريُّ[٧١].

المعنى العام :

في هذا الحديث يخبرنا النبي ﷺأن الله سبحانه وتعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب أي من كان عدوا لأوليائي فليعلم أني محارب له حيث كان محاربا لي بمعاداته أوليائي، وأن الله جل وعلا أحب ما يكون إليه العبد بأن يقوم بما فرض الله عليه من الصلوات الخمس وغيرها وأن من جمع بين القيام بالفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل فإن الله يحبه ومن آثار محبته له أن يكون حافظا لسمعه وبصره وبطش يده وسيره برجله من الشيطان أن يغويه فيمد جوارحه إلى المعاصي وقلبه إلى محبتها.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن الله سبحانه وتعالى قدم الإعذار إلى كل من عادى وليا أنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة.ولا يدخل في ذلك ما تقتضيه الأحوال في بعض المرات من التراع بين

---

[٧١] – صحيح البخاري (٨/ ١٠٥) (٦٥٠٢) [ش (وليا) هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته. (آذنته بالحرب) أعلمته بالهلاك والنكال. (مما افترضت عليه) من الفروض العينية وفروض الكفاية. (كنت سمعه. .) أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد. (استعاذني) استجار بي مما يخاف (ما ترددت) كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه(مساءته) إساءته بفعل ما يكره]

وليين لله تعلى في محاكمة أو خصومة راجعة لاستخراج حق غامض،فإن هذا قد وقع بين كثير من أولياء الله عز وجل..

(٣) أن أداء الفرائض هو أحب الأعمال إلى الله تعالى،وذلك لما فيها من إظهار عظمة الربوبية،وذل العبودية..

(٣) أن النافلة إنما تقبل إذا أديت الفريضة،لأنها لا تسمى نافلة إلا إذا قضيت الفريضة،وأن الإكثار من النوافل سبب لمحبة الله.

(٤) أن أولياء الله تعالى هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه،فظهر بذلك بطلان دعوى أن هناك طريقا إلى الولاية غير التقرب إلى الله تعالى بطاعاته التي شرعها..

(٥) أن من أتى بما وجب عليه،وتقرب بالنوافل وفقه الله بحيث لا يسمع ما لم يأذن به الشرع،ولا يبصر ما لم يأذن له في إبصاره،ولا يمد يده إلى شيء لم يأذن له الشرع في مدها إليه،ولا يسعى إلا فيما أذن له في السعي إليه.وهذا هو المراد بقوله:((كنت سمعه إلخ)) لا ما يذكره الاتحادية والحلولية.تعالى الله عن قولهم..

(٦) أن من كان بالمترلة المذكورة صار مجاب الدعوة..

(٧) أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات لا ينقطع عن الطلب من ربه لما في ذلك من الخضوع له،وإظهار العبودية..

(٨) فيه الوعيد الشديد لمن آذى عبدًا من عباد الله الصادقين حيث توعده الله بقوله " فقد آذنته بالحرب " .

(٩) فيه الحث على أن يكون الشخص من أولياء الله حتى يحصل له هذا الفضل.

(١٠) يدل على مترلة الإنسان المؤمن الصادق عند ربه، وأنها مترلة عالية حيث ينتقم الله له إن أوذي.

الفائدة الرابعة: الولاية لله تختلف على حسب زيادة الإيمان والتقوى في القلب، لأنها مأخوذة من الولي بسكون اللام وهو القرب، ولا شك أن القرب إلى الله يختلف

باختلاف الطاعات، فعلى هذا كلما كان الشخص أكثر إيماناً وأشد صدقاً وأعلى إخلاصاً كلما ارتفعت درجة ولايته.

(١١) فيه محبة الله لأوليائه حيث ينتصر لهم إذا مسوا بسوء.

(١٢) يدل على عظيم غضب الله وشدته لكمال قوته سبحانه.

(١٣) دل على أن تقصد إيذاء المؤمنين معصية من المعاصي وكبيرة من كبائر الذنوب لأن الله رتب عليها الحرب.

(١٤) الحديث يبعث الطمأنينة والراحة للمؤمن لأن الله تكفل بالانتقام له، والمطلوب منه فقط رعاية إيمانه وزيادته حتى ترتفع درجة ولايته فيكون المؤمن إذا ابتلي مشغولاً بالحفاظ على إيمانه وزيادته غير ناظر إلى عدوه لأن الله تكفل فيه.

(١٥) دل الحديث على أن الفرائض أعلى من النوافل جميعاً لقوله " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " .

(١٦) قوله " وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل" فيه تفسير لمعنى الولي، وأن من أدى الفرائض ثم أتبعها بالنوافل حصل على ولاية الله وكلما كان حرصه على ذلك أكمل كلما كانت درجة ولايته أعلى إلى أن يصل إلى درجة الحديث وهي الإحسان.

(١٧) فيه رد على الصوفية الذين يزعمون أن الولي مترلة من بلغها سقطت عنه التكاليف،فمن تأمل الحديث وجد أن من بلغ مرتبة الولاية فعليه أن يزداد حفاظاً على الفرائض والنوافل.

(١٨) الله يحب الطاعات وعلى رأسها الفرائض لقوله " وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " .

(١٩) أداء النوافل يحتاج إلى استمرار ومحافظة ومداومة حتى يرتقي الشخص إلى درجة أكمل ولهذا قال " ولا يزال " وهي كلمة تدل على الاستمرارية.

(٢٠) يدل على أن النوافل مما يتقرب بها إلى الله، لا كما ينظر إليها بعض الناس اليوم أنه لا يأثم تاركها فنظروا إلى الإثم وعدمه وفاتهم أنها مما يقرب إلى الله.

(٢١) للنوافل فائدتان مذكورتان في الحديث:

الأولى: أنها تقرب إلى الله في المترلة، ولهذا قال " ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل ".

الثانية: تورث محبة الله سبحانه للعبد لقوله " حتى أحبه ".

(٢٢) فيه إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى.

(٢٣) الحديث فتح الباب أمام المسلم ليعمل ما يستطيع من النوافل وأنواع العبادات،ولهذا أطلق النوافل و لم يقيدها بقيد.

(٢٤) العبودية لله هي حقيقة الولاية ولهذا كرر كلمة " عبدي " مرتين.

(٢٥) الحديث يربي المسلم على العمل الصالح ليلتمس محبة الله لقوله " ولا يزال عبدي يتقرب " وهذا هو شأن المسلم في حياته يصرفها في طاعة الله ومرضاته.

(٢٦) فيه كرم الله سبحانه حيث يعين المؤمن على العمل الصالح ثم يقبله منه ويحبه لأجله فله الفضل أولاً وآخرًا.

(٢٧) في الحديث بيان لتوفيق الله لمن أحبه أيما توفيق، فقد حاز الفلاح كله.

(٢٨) ثمرات محبة الله للعبد تتجلى في أمور:-

أولاً:- يوفقه الله في سمعه فلا يسمع إلاّ ما يحبه الله.

ثانياً:- يوفقه الله في بصره فلا ينظر إلى الحرام، بل يطيع الله في عينيه.

ثالثاً:- يوفقه الله في يده فلا يتصرف إلاَّ بما يحب الله ويهجر ما نهى الله عنه.

رابعاً:- يوفقه الله في رجله فلا تخطو إلاَّ لما يرضاه الله.

خامساً:- يستجاب دعاؤه، حيث أكد ّذلك باللام والنون فقال " لأعطيَّنه " .

سادساً:- يعيذه الله من كل سوء، حيث أكد ّالله ذلك باللام والنون فقال " لأعيذنه ".

نسأل الله الكريم من فضله.

(٢٩) الطاعات إذا فعلها الإنسان ثم استمر عليها تطرد من قلبه أي محبة غير الله.

(٣٠) في الحديث تربية لأهل الطاعة والأولياء أن ما حصل لهم من الطاعات والبعد عن السيئات إنما هو بفضل الله حيث أحبهم فيطرد هذا الكبر والعجب من القلب ولا يترك للشيطان مدخل.

(٣١) يدل الحديث على أن من وقع في المعاصي واستمر فيها نقصت محبة الله له،وهذا من شؤم المعصية.

(٣٢) قوله " ولئن سألني لأعطيَّنه ولئن استعاذ بي لأعيذَّنه " رد على أهل الإلحاد والحلول الذين فهموا من قوله " كنت سمعه وبصره ويده ورجله " عقيدة الحلول الباطلة. فقد قال " لئن سألني " فأثبت سائل وهو العبد ومسؤول وهو الله.

(٣٣) قوله " كنت سمعه الذي يسمع به ... الحديث " هذا تفسير لمعية الله الخاصة بعباده المؤمنين وأوليائه الصادقين.

(٣٤) دل الحديث على أن أساس الطاعة وأصلها محبة الله في القلب، فمن أحب الله أطاعه، فإن قويت محبته زادت طاعته.

(٣٥) دل الحديث على أن أساس المعاصي وأصلها محبة غير الله من هوى أو نفس أو دنيا، فمن أحب غير الله نقص من طاعته لله على قدر محبته لذلك الغير، فإن زادت محبته لغير الله وقع في الشرك، ومن هنا قال النبي ﷺ " تعبس عبد الدينار" فعبوديته له على قدر محبته له.

(٣٦) قوله " يكره الموت " يدل على أن الجزع من الموت وعدم محبته لا إثم فيه، لأن الكلام في الحديث عن المؤمن.

(٣٧) قوله " أكره مساءته " يدل على شدة الموت وصعوبة نزوله ولهذا سماها الله " مساءة " أي يحصل له سوء فيه، فنسأل الله أن يهون علينا سكرته.

(٣٨) المراد بالتردد هنا أن الله كتب الموت على الناس جميعاً والمؤمن يكره الموت لما فيه من شدة وكرب، فالله كتبه على الناس ومع ذلك يكره سبحانه ما يسيء المؤمن فسمى ذلك ترددًا.

[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ - إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ.]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ،وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ ".حديثٌ حسَنٌ رَواهُ ابنُ ماجهْ والبَيَهقيُّ وغيرهما[٧٢].

المعنى العام :

في هذا الحديث البشرى العظيمة لأمة محمد ﷺ حيث إن الله سبحانه وتعالى رفع إثم الخطأ الذي صادف غير ما يريد الإنسان مما فيه إثم،وإثم النسيان بعد الذكر وإثم ما سيكره عليه العبد وهو لا يستطيع المخرج من هذا الإكراه فلا يؤاخذ الله بهذه الأمور الثلاثة وهذا من لطف الله ورحمته بعباده بأن جعل الدين يسيرا لاشدة فيه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:٧٨].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) رفع الإثم عن المخطىء والناسي والمستكره،وأما الحكم فغير مرفوع،فلو أتلف شيئا خطأ،أو ضاعت منه الوديعة نسيانا ضمن،ويستثنى من الإكراه:الزنى والقتل فلا يباحان بالإكراه،ويستثنى من النسيان:ما تعاطى الإنسان سببه،فإنه يأثم بفعله لتقصيره..

(٢) إن الناسي والمخطئ يضمنان الإتلافات والجنايات لأنه لم يرتفع إلا الإثم فقط.

(٣) إن الذي ينفذه المكره في حال إكراهه قهرا لا ينفذ ولا ينعقد بل هو باق على ما هو عليه قبل الإكراه.

(٤) إن هذا التيسير من العفو والتجاوز خاص بهذه الأمة.

(٥) فيه كرم الله سبحانه وتعالى وعظيم عفوه، حيث تجاوز عن تلك الأمور.

---

[٧٢] – السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٥٨٤) (١٥٠٩٤) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٢١٦) (٢٨٠١) والمعجم الأوسط (٢/ ٣٣١) (٢١٣٧) وسنن ابن ماجه (١/ ٦٥٩) (٢٠٤٥) وسنن الدارقطني (٥/ ٣٠٠) (٤٣٥١) من طرق صحيح لغيره

(٦) ظاهر لفظ الحديث في قوله " أمتي " يدل على أن ذلك من خصائص هـــذه الأمـــة المحمدية.

(٧) دل على أن:الخطأ والنسيان والإكراه معفو عنها متجاوز عن الإثم فيها.

(٨) الحديث يؤيد قوله تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]

(٩) دل على الفرق بين الخطأ والنسيان:فالخطأ: أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده، كأن يقصد أن يقتل كافر فصادف قتله مسلماً .والنسيان: أن يكون ذاكـــرًا الشيء فينساه عند الفعل.

(١٠) استثنى أهل العلم بالإجماع من الإكراه إذا أكره على قتل مسلم، لنصوص أخرى، وفي هذا عظمة دم المسلم.

(١١) المراد من قوله " تجاوز " يعني عن الإثم، لكن قد يضمن أحياناً ويعيد الفعل أحياناً على حسب الفعل فمن نسي الوضوء وصلى فلا إثم عليه لكن عليه الإعادة وهكذا.

(١٢) فيه سهولة الشريعة الإسلامية وتيسير الله لها.

[الْحَدِيثُ الْأَرْبَعُونَ - كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ]

عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:أَخَذَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِمَنْكِبِي،فَقَالَ:«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ،يَقُولُ:«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ،وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ،وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ،وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».رواهُ البُخاريُّ[٧٣].

المعنى العام:

يوصينا النبي الكريم ﷺ بوصية عظيمة بأن يكون الإنسان في هذه الدنيا كالغريب أو عابر السبيل الذي لا يرغب الإقامة في غير بلده وجاء النبي ﷺ بهذا التشبيه الرائع الدافع والحافز لكل عاقل مؤمن بأن لا يركن إلى الدنيا ولا يتعلق منها إلا بقدر ما يتعلق به المسافر أو الغريب حما غير وطنه،وقيل في ذلك:ترجو البقاء بدار لا بقاء لها وهل سمعت بظل غير منتقل والراوي عبد الله بن عمر يرشدنا إلى معنى الحديث اغتنام الأعمال الصالحة في صحة الإنسان قبل أن يحوله بينه وبين الأعمال الصالحة المرض أو العجز وفي الحياة قبل أن يحول بينه وبينها الموت.

ما يرشد إليه الحديث :

(١) الابتداء بالنصيحة والإرشاد لمن لم يطلب ذلك.

(٣) مخاطبة الواحد وإرادة الجمع،فإن هذا لا يخص ابن عمر،بل يعم جميع الأمة..

---

[٧٣] - صحيح البخاري (٨/ ٨٩) (٦٤١٦)

[ش (كأنك غريب) بعيد عن موطنه لا يتخذ الدار التي هو فيها موطنا ولا يحدث نفسه بالبقاء قال العيني هذه كلمة جامعة لأنواع النصائح إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والتزاع وسائر الرذائل منشؤها الاختلاط بالخلائق ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق. (عابر سبيل) مار بطريق وتعلقاته أقل من تعلقات الغريب (خذ من صحتك لمرضك) اشتغل حال الصحة بالطاعات بقدر يسد الخلل والنقص الحاصل بسبب المرض الذي قد يقعد عنها. (من حياتك لموتك) اغتنم أيام حياتك بالأعمال التي تنفعك عند الله تعالى بعد موتك]

(٣) الحض على ترك الدنيا والزهد فيها،وألا يأخذ منها الإنسان إلا مقـــدار الضـــرورة المعينة على الآخرة..

(٤) الاستعداد للموت والخوف من وقوعه آناء الليل والنهار.

(٥) المسارعة إلى الأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها،ويحول مرض أو موت،أو بعض الآيات التي لا يقبل معها عمل..

(٦) مس المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم للتأنيس والتنبيه.

(٧) التحذير من الرذائل،إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحســـد والعداوة،والحقـــد والنفاق،والتراع وجميع الرذائل التي تنشأ بالاختلاط بالخلائق ولقلة إقامته قليـــل الـــدار والبستان والمزرعة،وسائر الأشياء التي تشغل عن الخالق من لم يوفقه الله.

(٨) تقصير الأمل،والاستعداد للموت.

(٩) الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا.

(١٠) حديث الباب يضبط تعامل المؤمن مع الدنيا، فينظر لها على أنها ممر لا مقر.

(١١) يبين مترلة الدنيا عند المؤمن وأنها أقل شأناً من أن يتعلق بها أو يصرف لهـــا همـــه وهمته بل يسخرها في طاعة الله.

(١٢) لا يدل الحديث على ترك الرزق وتحريم ملذات الدنيا، بدليل فعل النبي ﷺ الـــذي قال هذه الوصية وصحابته الكرام الذين طبقوها فقد تاجروا وعملوا وتلذذوا بالحلال مما يدل على أن المراد بالحديث عدم التعلق بحيث تصده عن طاعة ربه.

(١٣) يدل الحديث على أن النصيحة تبذل أحياناً بدون سؤال وطلب، فقد أسدى النبي ﷺ هذه النصيحة لابن عمر رضي الله عنهما بدون سؤال وطلب منه، وهذا هو شـــأن المؤمن.

(١٤) يربي الحديث المسلم على أن يزول من ذهنه الخلود في هذه الدنيا كما هو حـــال الرجل الغريب الذي يمر ببلد فإنه جعل في قرارة ذهنه أنه لن يستقر فيها.

(١٥) قوله " غريب " إشارة إلى أننا في هذه الدنيا على سفر للدار الآخرة.

(١٦) من لوازم الغربة للرجل الغريب ما يلي:-

أ- عدم الاستقرار في البلد الذي يمر عليه، وكذلك المؤمن لا يستقر في الدنيا.

ب- رضاؤه بالقليل من المتاع، وهذا هو حال المؤمن التقي مع متاع الدنيا فيرضى بالقليل منه.

ج - الغريب لا ينافس أهل البلد في دنياهم وبنائهم وأموالهم وشؤونهم لأن همته متعلقة بما أمامه من طريق، وكذلك المؤمن لا ينافس الناس في دنياهم بل همه معلق بالآخرة والاستعداد لما أمامه.

د - استعداده للسفر في أي لحظة أو ساعة، وكذلك أيضاً المؤمن مستعد للقاء ربه متى شاء الله سبحانه.

هـ الغريب لا يأسف ويحزن لفوات شيء من دنيا الناس في ذلك البلد لأنها لا تعنيه وكذلك المؤمن لا يأسف ويحزن لفوات شيء من أمور الدنيا حزناً يقطعه عن عمله وآخرته.والغريب لا يطمئن ويرتاح حتى تنقطع غربته بالوصول لما يريد، والمؤمن لا يرتاح ولا يطمئن حتى يوصله الله بفضله لدار كرامته.

ز - الغريب يجعل إقامته في ذلك البلد عوناً له على قطع سفره، فيتزود فيه من الماء والطعام والراحة ليواصل سيره، وكذلك المؤمن يجعل الدنيا عوناً له على سفره للدار الآخرة فيتزود بالأعمال الصالحة لتعينه على سفره.

(١٧) قوله " غريب أو عابر سبيل " يشتركان في عدم الاستقرار والاستيطان والاستعداد للرحيل.

(١٨) الحديث يربي المؤمن على التطلع للآخرة والنظر والاستعداد لها.

(١٩) يبين الحديث مدة الدنيا بالنسبة للآخرة وأنها كإقامة غريب في غربته مقارنة باستيطانه في بلده أو استراحة عابر سبيل مقارنة بمدة إقامته عند أهله.

(٢٠) يدل الحديث بمفهومه على خسارة من باع دنياه بدينه، لأنه باع فانٍ زائل ببـاقٍ دائم.

(٢١) قول ابن عمر رضي الله عنهما " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء " تفسير لحديث الباب، وتطبيق عملي للحديث.

(٢٢) الحديث لا ينفي طلب الرزق والتزود من الدنيا كما أن الغريب في حال غربته لا يقطعه ذلك عن التزود والأكل والرزق.

(٢٣) وصف الغربة في الحديث يدل على أمرين:-

الأول: ينفي العجب والكبر والبطر والفخر لأن الغريب كذلك.

الثاني: يوحي اللفظ بالمسكنة والذلة الجزئية.

وكِلا الأمرين يجب أن يتحلى بهما المؤمن، فينفي الكبر والبطر والفخر، ويلبس لباس العبودية والفقر والذلة لله سبحانه وتعالى.

[الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ - لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».قال الشيخ رحمه الله:حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ،رَوِيناهُ في كِتابِ " الحُجَّة " بإسنادٍ صحيح! [٧٤].

المعنى العام :

يفيدنا هذا الحديث أن كل إنسان لا يؤمن حتى يحب ما جاء به الرسول ﷺ ويعمل به ويكره ما نهى عنه ويجتنبه.

وأنه لا يعمل أي عمل من الأعمال حتى يعرضه على الكتاب وسنة رسوله ﷺ فإن وافق الكتاب والسنة فعله وإن كان فيهما ما ينهى عنه أو ينفيه اجتنبه وأعرض عنه وهذا هو حقيقة من كان هواه تبعا لما جاء به محمد ﷺ {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر:٧].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) يجب على كل مكلف أن يكون هواه تابعا لما جاء به محمد ﷺ.

(٢) إن من لم يكن هواه تابعا لما جاء به محمد ﷺ فهو إما ناقص الإيمان أو خارج عنه.

(٣) وجوب محبة الرسول ﷺ ومن لازم محبته اتباعه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه.

(٤) دل الحديث على أن من جعل هواه يتبع دين الله وشرعه فقد استكمل الإيمان.

(٥) دل على أن الهوى يحتاج إلى مجاهدة حتى يتبع شرع الله ففيه تربية على

(٦) طاعة الهوى تصرف عن دين الله.

---

[٧٤] – السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٢) (١٥) والإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٤/ ٣٣٨)(٣٧٠٥) وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٣) حسن

(٧) المؤمن يجعل هواه على حسب الشريعة، وأما ناقص الإيمان يقدم طاعة الهوى أحياناً، وأما المنافق والكافر فيحرف الشريعة على حسب هواه ورغبته.

(٨)الحديث يربي المسلم على محاسبة نفسه وهواه هل هي تتبع الشرع أم لا ؟

(٩) يدل على خطورة الهوى، لأنه إن لم يكن تبع الشرع فإنه ينقص الإيمان وقد يزيد النقص إلى درجة خطيرة جدًا.

(١٠) المسلم مستسلم لأمر الله سواءً وافق هواه أم لا؟

(١١) المؤمن يحب الله وأوامره، ويعظم نواهيه، وهذا معنى أن يجعل هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ.

(١٢) يدل الحديث على أن المؤمن لا يبحث عما يشتهي هواه، لكن يبحث عن طاعة الله ثم يفعلها.

(١٣) يربي النفس على المجاهدة، لأن الهوى هو أمل النفس ومرادها ومبتغاها، ولأجل ذلك يحتاج إلى جهد ومجاهدة وإيمان حتى يكون تبعاً للشرع.

(١٤) يربي المسلم على طلب الشرع والدليل ولو خالف هواه، فالمؤمن يبحث عن الدليل فإن صح عمل فيه ولو كانت نفسه وهواه ينازعه لأنه جعل هواه تبعاً لدين الله.

(١٥) الحديث أصل في باب التوبة والحث عليها.

(١٦) يربي المسلم على إحسان الظن بربه سبحانه وتعالى لأن الله عند ظن عبده به.

(١٧) فيه لطف الله سبحانه وتعالى في مناداته لعبده وقربة منه.

(١٨) فيه بيان سعة رحمة الله وعظيم مغفرته.

(١٩) يربي جانب الرجاء في قلب المؤمن.

(٢٠) الله يغفر كل شيء إذا تاب الإنسان لربه بما في ذلك الشرك.

(٢١) يدل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أعطى عبده المؤمن وغفر له لا ينقص ذلك مما عنده لقوله " ولا أبالي ".

(٢٢) يدل الحديث على أن الدعاء يجب أن يكون معه رجاء بالله أنه يستجيب ويسمع وينصر ويعطي ولذلك قَرَن في الحديث بين الدعاء والرجاء فقال " إنك ما دعوتني ورجوتني ".

(٢٣) يدل الحديث على أن الإنسان إذا تلبس بالمعاصي والذنوب والخطايا ينبغي ألاَّ يمنعه ذلك من الدعاء بل إنه أحوج ما يكون إلى الدعاء، ويدل على ذلك في الحديث قوله " على ما كان منك ".

(٢٤) بين الحديث أسباب مغفرة الذنوب والخطايا، وهي ما يلي:

١- الدعاء لقوله " ما دعوتني ".

٢- الرجاء لله سبحانه لقوله " ورجوتني ".

٣- الاستغفار في جميع الأوقات لقوله " ثم استغفرتني غفرت لك ".

٤- التوحيد لقوله " ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ".

(٢٥) دل على أن الاستغفار إذا تقبله الله واستجابة غفر الله لصاحبه ولو كانت ذنوبه عنان السماء.

(٢٦) الحديث يفتح باب الأمل للمسرف على نفسه بالمعاصي، ولذلك جميع ألفاظ الحديث تدل على ذلك:-قوله " على ما كان منك ولا أبالي " وقوله " لو بلغت ذنوبك عنان السماء " وقوله " لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ".وكلها ألفاظ موجهة للمسرف على نفسه بالذنوب وغيره من باب أولى.

(٢٧) الإسلام لا يكبت النفس ويحطمها ولذلك عالج المذنب والمخطئ بفتح الأمل له وفتح باب المغفرة.

(٢٨) الحديث يربي الإنسان والناس جميعاً على التعلق بالله ورجائه والانطراح بين يديه.

(٢٩) الحديث يبين ضعف الإنسان وكثرة ذنوبه، وعظم الله وسعة رحمته.

(٣٠) دل الحديث على أن الإنسان لا غنى له عن ربه طرفه عين، فيحتاج إعانته ومغفرته وتوفيقه وهداه.

(٣١) فيه فضل التوحيد حيث يغفر الله لصاحبه ذنوبه وخطاياه لما قام بقلبه من توحيـــد الله وإخلاص العبادة له.

(٣٢) من تأمل الحديث وجد أنه يربي جانب الحياء من الله، فإذا تأمل المـــؤمن ألفـــاظ الحديث وأن الله ينادي عباده، وفتح لهم باب المغفرة مع أنهم هم المحتاجون له، ومع ذلك يذنبون، لا شك أن ذلك يورث المؤمن الحياء من الله سبحانه وتعالى.[٧٥]

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

[٧٥] – تعليقات تربوية على الأربعين النووية –عقيل بن سالم الشمري

[الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ - يَابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ..]

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي،يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ،وَلَا أُبَالِي،يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ".رواهُ التِّرمذيُّ وقالَ:حديثٌ حَسَنٌ[٧٦].

المعنى العام :

هذا الحديث يتضمن بشرى للمسلمين حيث إنه دل على سعة رحمة الله وكرمه وجوده وفضله على عباده بأن من أذنبا ذنوبا عظيمة ثم سأل الله سبحانه وتعالى ورجاه و لم يقنط من رحمته فإن الله تعالى يغفر ذنوبه ولو بلغت ما بلغت إذا استغفر الله وهو لا يشرك بالله شيئا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء:٤٨]، {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر:٥٣]

ما يرشد إليه الحديث :

(١) سعة فضل الله وكرمه وجوده على عباده حيث إن العبد إذا أذنب وتاب من ذنوبه ثم سأل الله محوها فإن الله سبحانه يغفرها ولو بلغت ما بلغت محل الكثرة.

(٢) إن من مات وهو لا يشرك بالله شيئا فإنه يرجى له دخول الجنة.

(٣) إن الإنسان ليس بمعصوم من الذنوب ولكنه إذا أذنب ودعا الله قبل دعاءه وغفر ذنبه.

---

[٧٦] – سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٤٨) (٣٥٤٠) صحيح

(٤) الرد على الذين يكفرون المسلمين بالذنوب،وعلى المعتزلة القائلين بالمتزلة بين المتزلتين،بمعنى أنه ليس بمؤمن و لا كافر في الدنيا،ويخلد في النار في الآخرة.والصواب قول أهل السنة:أن العاصي لا يسلب عنه اسم الإيمان،ولا يعطاه على الإطلاق،بل يقال:هو مؤمن عاص،أو مؤمن بإيمانه،فاسق بكبيرته،وعلى هذا يدل الكتاب والسنة،وإجماع سلف الأمة..

(٥) بيان معنى لا إله إلا الله:أنه هو إفراد الله بالعبادة،وترك الشرك قليله وكثيره.

(٦) حصول المغفرة بهذه الأسباب الثلاثة:الدعاء مع الرجاء،والاستغفار والتوحيد وهو السبب الأعظم الذي فقه فقد المغفرة،ومن جاء به فقد جاء بأعظم أسباب المغفرة.

(٧) شرف بني آدم حيث وجه الله إليه الخطاب بقوله "يَا ابْنَ آدَمَ" ولاشك أن بني آدم فضّلوا على كثير ممن خلقهم الله عزّ وجل وكرّمهم الله سبحانه وتعالى، قال الله تبارك وتعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٧٠)

(٨) أن كلمة (ابن) أو: (بني) أو ما أشبه ذلك إذا أضيفت إلى القبيلة أو إلى الأمة تشمل الذكور والإناث، وإذا أضيفت إلى شيء محصور فهي للذكور فقط. وهي هنا في الحديث مضافة إلى الأمة كلها، حيث قال: "يَا ابنَ آدَمَ" فيشمل الذكور والإناث.

(٩) أن من دعا الله ورجاه فإن الله تعالى يغفر له.

(١٠) أنه لابد مع الدعاء من رجاء، وأما القلب الغافل اللاهي الذي يذكر الدعاء على وجه العادة فليس حريّاً بالإجابة، بخلاف الذكر كالتسبيح والتهليل وما أشبه ذلك، فهذا يُعطى أجراً به، ولكنه أقل مما لو استحضر وذكر بقلبه ولسانه. والفرق ظاهر، لأن الداعي محتاج فلابد أن يستحضر في قلبه ما احتاج إليه، وأنه مفتقر إلى الله عزّ وجل..

(١١) إثبات صفات النفي التي يسميها العلماء الصفات السلبية، لقوله: "وَلاَ أُبَالِي" فإن هذه صفة منفية عن الله تعالى، وهذا من قسم العقائد. وهذا كثير في القرآن مثل قوله: (لا تَأْخُذُهُ

سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ) (البقرة: الآية٢٥٥) وقوله: (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) (الكهف: الآية٤٩) وقولـــه: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ) (الفرقان: الآية٥٨) وهي كثيرة.

(١٢) أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً مهما عظمت لقوله: "لَوبَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاء ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ" وأن الإنسان متى استغفر الله عزّ وجل من أي ذنب كان عِظَمَاً وقدراً فإن الله تعالى يغفره، وهذا كقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً) (النساء: ١١٠)

(١٣) أن الإنسان إذا أذنب ذنوباً عظيمة ثم لقي الله لا يشرك به شيئاً غفر الله له. ولكن هذا ليس على عمومه لقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: ٤٨)

فقوله هنا في الحديث: "لأَتيتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً" هذا إذا شاء، وأما إذا لم يشأ فإنه يعاقب بذنبه.

(١٤) فضيلة التوحيد وأنه سبب لمغفرة الذنوب، وقد قال الله عزّ وجل: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) (الأنفال: الآية٣٨) فمهما عظمت الذنوب إذا انتهى الإنســـان عنها بالتوحيد غفر الله له.

(١٥) إثبات لقاء الله عزّ وجل، لقوله: "ثُمَّ لَقِيتَنِي لاتُشْرِك بِي شَيْئَاً" وقد دلّ على ذلك كتاب الله عزّ وجل، قال الله تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (الكهف: الآية١١٠) وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْأِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) (الانشقاق: ٦)

فلابد من ملاقاة الله عزّ وجل، والنصوص في هذا كثيرة، فيؤخذ من ذلك: أنه يجـــب علـــى الإنسان أن يستعد لملاقاة الله، وأن يعرف كيف يلاقي الله، هل يلاقيه على حال مرضيةٍ عنـــد الله عزّ وجل، أو على العكس؟ ففتّش نفسك واعرف ما أنت عليه.[٧٧]

[٧٧] – شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٣٩٩)

[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ - أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا،فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ».خرَّجه البُخاريُّ ومُسلمٌ[٧٨].

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث بأن من مات وخلف مالا وورثة أنه يوفي لأصحاب الفروض فروضهم كاملة،وهم من يرث بتقدير من كتاب الله وما بقى من المال عن الفروض،فهو من حق لأقرب رجل ذكر من الميت وهو العاصب الوارث بلا تقدير،وهذا من لطف الله وعدله ورحمته بعباده بأن جعل لكل وارث حقا معلوما بينا واضحا حسما للتراع والشقاق،وانتشار الفوضى بتغلب القوي على الضعيف والكبير على الصغير.وذلك لحفظ الحقوق،واستتباب الأمن لكل صاحب حق على حقه.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) إن المقدم في الميراث هو أصحاب الفروض.

(٢) أن ما يبقى بعد الفروض للعصبة،وهو كل ذكر يدلي بنفسه بالقرابة ليس بينه وبين الميت أنثى..

(٣) إنه يقدم الأقرب فالأقرب في الميراث سواء أهل الفروض أو العصبة.

(٤) إنه لا شيء للعاصب إذا استغرقت الفروض،أي لم يبق منها شيئا.

(٥) إن العاصب إذا انفرد أخذ جميع المال.

(٦) كمال الشريعة واشتمالها على قواعد كليَّة عامة، كما جاء في هذا الحديث.

---

[٧٨] - صحيح البخاري (٨/ ١٥٠)(٦٧٣٢) وصحيح مسلم (٣/ ١٢٣٣) ٢ - (١٦١٥) [ش(ألحقوا الفرائض بأهلها) أعطوا الأنصباء المقدرة في كتاب الله تعالى لأصحابها المستحقين لها. (فما بقي) فما زاد من التركة عن أصحاب الفروض. (فلأولى) لأقرب وارث من العصبات]

(٧) تقديم من يرث بالفرض فيُعطى ميراثه، وما بقي يكون لِمَن يرث بغير تقدير.يرثون بالفرض، والأشقاء يرثون بالتعصيب، وصاحب الفرض يُعطَى فرضه، ويأخذ الذين يرثون بالتعصيب ما بقي إن بقي بعد الفروض شيء، وإلاَّ سقطوا.[٧٩]

(٨) دل الحديث على أن لا وصية لوارث، قال ابن المنذر: " تبطل الوصية للوارث عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى أنّها لا تجوز، ولو أجازها الورثة، وهو قول أهل الظاهر، واتفق مالك والثوري والكوفيون والشافعي على أن الورثة إذا أجازوا ذلك بعد وفاته لزمهم.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٧٩] – فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (ص: ١٤١)

[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ]

عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،أَنَّ عَائِشَةَ،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهَا:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا،وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ،قَالَتْ:فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أُرَاهُ فُلَانًا»،لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ،قَالَتْ عَائِشَةُ:لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا - لِعَمِّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ - دَخَلَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ:«نَعَمْ،الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الوِلَادَةُ» خرَّجه البُخاريُّ ومُسلمٌ [٨٠].

المعنى العام:

يفيدنا هذا الحديث بقاعدة عامة شاملة لأحكام الرضاع،وهو أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب سواء من قبل الزوجة أو من قبل الزوج،فكل ما يحرم على الإنسان من قراباته من النسب بأن يتزوجها كأخته وخالته وعمته،فحرام عليه أن يتزوج بهؤلاء إذا كانت قرابتهن بالرضاع،وكذلك الزوجة يحرم عليها أن تتزوج بولدها وأخيها وعمها وخالها،فكذلك حرام عليها أن تتزوج بهؤلاء إذا كانوا من الرضاع.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن الرضاع كالنسب في التحريم.وهو بالإجماع فيما يتعلق بتحريم التناكح وتوابعه،والجمع بين قريبتين وانتشار الحرمة بين الرضيع والأولاد المرضعة،وتنزيلهم منزلة الأقارب في حل نحو نظر وخلوة وسفر،لا في باقي الأحكام،كتوارث ووجوب الإنفاق ونحو ذلك،ثم التحريم المذكور بالنظر إلى المرضع فإن أقاربه أقارب للرضيع وأما أقارب الرضيع ما عدا أولاده فلا علاقة بينهم وبين المرضع،فلا يثبت لهم شيء من الأحكام..

(٢) فيه كمال الشريعة واشتمالها على قواعد كليَّة عامة، كما جاء في هذا الحديث.

---

[٨٠] - صحيح البخاري (٧/ ٩) (٥٠٩٩) وصحيح مسلم (٢/ ١٠٦٨) ١ - (١٤٤٤)

(٣) أنَّ كلَّ امرأة حرُمت من النسب يحرم ما يُماثلها من الرضاعة.[٨١]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٨١] - فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (ص: ١٤٣)

[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ - تحريم بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،أَنَّهُ:سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ:«إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ،وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ»،فَقِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ،فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ،وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ،وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ:«لاَ،هُوَ حَرَامٌ»،ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:«قَاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ،ثُمَّ بَاعُوهُ،فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ» خرَّجه البُخاريُّ ومُسلمٌ [٨٢].

المعنى العام :

يفيدنا هذا الحديث أن كل ما كان محرما أكله فإنه محرم الانتفاع به مطلقا،سواء متصلا أو ممتزجا بما هو حلال كالجلود،أو منفصلا كالاستصباح به،وأنه مهما غير من حالته حرام ثمنه،وأن كل وسيلة إلى الحرام حرام محرم استعمالها،وأن جميع الحيل لا تغير الحقائق إذا كانا باطلة.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) تحريم بيع الميتة والخنزير والأصنام.

(٢) إن كل ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه وأكل ثمنه وهذا عام في كل ما كان المقصور من الانتفاع به حراما،وهو قسمان:أحدهما ما ينتفع به مع بقاء عينه كالأصنام فإن منفعتها المقصودة منه الشرك بالله عز وجل،وهو أقبح المعاصي على الإطلاق،ويلتحق بذلك ما كانت منفعته محرمة ككتب الشرك والسحر والبدع والضلال ونحوها.والثاني:ما لا ينتفع به إلا مع إتلاف عينه،فإذا كان المقصود الأعظم منه محرما فإنه يحرم بيعه كما

---

[٨٢] - صحيح البخاري (٣/ ٨٤) (٢٢٣٦) وصحيح مسلم (٣/ ١٢٠٧) ٧١ - (١٥٨١)

[ش(يطلى) يدهن. (يستصبح بها الناس) يجعلونها في مصابيحهم يستضيئون بها. (شحومها) شحوم الميتة أو شحوم البقر والغنم كما أخبر تعالى بقوله {ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما}. / الأنعام ١٤٦ /. (جملوه) أذابوه واستخرجوا دهنه]

يحرم بيع الخنزير والخمر والميتة مع أن في بعضها منافع غير محرمة،كأكل الميتة للمضطر،ودفع الغصة بالخمر،وإطفاء الحريق به،والخرز بشعر الخنزير،والانتفاع بشعره وجلده،فهذه المنافع لما كانت غير مقصودة لم يعبا به وحرم البيع..

(٣) إن جميع الحيل التي يتوصل بها إلى تحليل ما حرم الله باطلة.

(٤) إن من احتال على تحليل الحرام فيه شبه باليهود عليهم لعائن الله.

(٥) بيان تحريم النَّبيِّ ﷺ هذه الأمور الأربعة.

(٦) بيان النَّبيِّ ﷺ هذا التحريم بمكة عام الفتح؛ ليُبادر الذين أسلموا إلى الامتناع من هذه الأربعة، انتفاعاً وبيعاً.

(٧) أنَّ ما حرَّم الله فبيعُه حرام وثمنه حرام.

(٨) تحريم الحيل التي يُتوصَّل بها إلى استحلال ما حرَّم الله.

(٩) ذمُّ اليهود وبيان أنَّهم أهلُ حيَل للوصول إلى استباحة الحرام.

(١٠) تحذير هذه الأمَّة أن تقع فيما وقعت فيه اليهود من هذه الحيَل.[٨٣]

[٨٣] – فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (ص: ١٤٥)

[الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ - كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ]

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ،فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا،فَقَالَ:«وَمَا هِيَ؟» قَالَ:البِتْعُ وَالمِزْرُ،فَقُلْتُ لِأَبِي بُرْدَةَ:مَا البِتْعُ؟ قَالَ:نَبِيذُ العَسَلِ،وَالمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ،فَقَالَ:«كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ» خرَّجه البُخاريُّ[٨٤].

المعنى العام :

يخبرنا ويرشدنا هذا الحديث بأن كل ما يصنع للشرب وهو مسكر فهو حرام شربه قليله وكثيره،حرام استعماله حرام بيعه وتعاطيه من أي نوع كان وبأي اسم سمي،أعاذنا الله من ذلك،وأن من ولي على منطقة من مناطق البلاد عليه أن يسأل عن ما يخفي عليه من شؤون أهلها،وما يصنع في تلك البلاد من المنتجات ليكون على بصيرة من الحكم فيها ليجتنب الخطأ ويعمل بالصواب،وفقنا الله وكل مسؤول للصواب.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) تحريم تناول جميع أنواع المسكرات،سواء كانت من عصير العنب أو غيره،وقد تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ..

(٢) إن المفتي يجيب السائل بزيادة عما سأله عنه،إذا كان ذلك مما يحتاج إليه السائل..

(٣) إن علة التحريم الإسكار فاقتضى ذلك تحريم ما يسكر،ولو لم يكن شرابا كالحشيش ونحوها..

(٤) إن الأسماء لا تغير الحقائق.

---

[٨٤] - صحيح البخاري (٥/ ١٦٢) (٤٣٤٣)

[ش (نبيذ العسل) العسل المخلوط بالماء. (نبيذ الشعير) الماء الذي نقع فيه الشعير]

(٥) فضيلة أبي موسى الأشعري،لأن النبي ﷺ لم يوله الإمارة إلا لكونه عاملا فطنا حاذقا،ولذلك اعتمد عليه عمر،ثم عثمان،ثم علي خلافا للخوارج والروافض فإنهم طعنوا فيه.

(٦) حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة الأحكام الشرعية.

(٧) كمال الشريعة واشتمالها على قواعد كليَّة عامة، كما جاء في هذا الحديث.

(٨) تحريم كلِّ مسكر من أيِّ نوع كان.

[الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ]

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ.بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ،فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» رواهُ التِّرمِذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ،وقَالَ التِّرمِذيُّ:حَدِيثٌ حَسَنٌ[٨٥].

المعنى العام :

يرشدنا النبي الكريم ﷺ إلى أصل من أصول الطب،وهي الوقاية التي يقي بها الإنسان صحته،وهي التقليل من الأكل بل يأكل بقدر ما يسد رمقه ويقويه على أعماله اللازمة،وإن شر وعاء مليء هو البطن لما ينتج عن الشبع من الأمراض الفتاكة التي لا تحصى عاجلا أو آجلا باطنا أو ظاهرا،ثم إن الرسول ﷺ قال:إذا كان الإنسان لابد له من الشبع،فليجعل الأكل بمقدار الثلث،والثلث الآخر للشرب،والثلث للنفس حتى لا يحصل عليه ضيق وضرر،وكسل عن تأدية ما أوجب الله عليه في أمر دينه أو دنياه {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } [الأعراف:٣١] ، فعلى الإنسان أن يتأدب بالآداب الشرعية،ويمتثل أمر الرسول ﷺ،وأن يحافظ على صحته،فإنه كما قيل:الوقاية خير من العلاج،وكما قيل:المعدة بيت الداء.

---

[٨٥] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٥٩٠) (٢٣٨٠) وصحيح ابن حبان - مخرجا (١٢/ ٤١) (٥٢٣٦) ومسند الشاميين للطبراني (٢/ ١٦٤)(١١١٦) وسنن ابن ماجه (٢/ ١١١١) (٣٣٤٩) وتهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٧١٨)(١٠٣٧) والسنن الكبرى للنسائي (٦/ ٢٦٨) (٦٧٣٨) والمعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٢٧٢) (٦٤٤) صحيح

ما يرشد إليه الحديث:

(١) عدم التوسع في الأكل والشرب،وهذا أصل جامع لأصول الطب كلها،لو استعمله الناس لتعطلت دكاكين الصيادلة لأن أصل كل داء التخمة،فهذا بعض منافع قلة الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صحة البدن،وأما منافعها بالنسبة إلى القلب،فهي أنها توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس،وضعف الهوى والغضب،بخلاف التوسع في الأكل والشرب فإنه يثقل البدن ويزيل الفطنة،ويجلب النوم،ويضعف صاحبه عن العبادة..

(٢) أن يجعل أكله وشربه بمقدار ثلث للطعام وثلث للشراب،وثلث للنفس.

(٣) إن من زاد عن هذا التقدير،فقد خالف ما أرشد إليه النبي ﷺ.

(٤) إن في هذا الحديث الإرشاد إلى الوقاية التامة لصيانة صحة الإنسان.

(٥) إن من لم يعمل بما في هذا الحديث فقد عرض نفسه للأمراض الفتاكة عاجلا أو آجلا.

(٦) بيان الأدب الشرعي الذي ينبغي أن يكون عليه الآكلُ في مقدار أكله.

(٧) التحذير من ملء البطن؛ لِمَا يجلبه من الأمراض والكسل والخمول.

(٨) أنَّ الكفايةَ تحصل بما يكون به بقاء الحياة.[٨٦]

[٨٦] – فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (ص: ١٤٩)

[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ - أَرْبَعٌ مِنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا،وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا:إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ،وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ،وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ،وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " خرَّجه البُخاريُّ ومُسلمٌ[٨٧].

المعنى العام :

يحذرنا النبي الكريم ﷺ من التخلق بهذه الخصال الأربع لما يحصل من بعض المسلمين ارتكاب شيء منها لأن من ارتكب واحدة كان فيه شعبة من النفاق وإن ألمّ بها جميعا كان منافقا خالصا،فليحذر المسلمون من التخلق بهذه الأخلاق الفاسدة التي هي فساد للفرد وللمجتمع،ومن ذلك أنها تذهب الثقة ممن اتصف بهذه الصفات،ويتأسى به غيره حتى تسري في الناس فلا يستقيم لهم أمر لعدم ثقة بعضهم ببعض،فعلينا معشر المسلمين أن نبتعد عن هذه الخصال،ونتأدب بالآداب الجميلة والأخلاق الفاضلة لنكون قدوة حسنة بعضنا لبعض وللنشء الجديد من أولادنا.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) التحذير من التخلق بهذه الأخلاق الخبيثة التي يرجع إليها أصول النفاق الأصغر نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك.وأما النفاق الأكبر فهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،ويطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه،وهذا النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ،ونزل القرآن بذم أهله،وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار.

(٢) إن ترك هذه الخصال من صلاح المجتمع وارتكابها من فساد المجتمع وعدم استقامته.

---

[٨٧] - صحيح البخاري (١/ ١٦) (٣٤) وصحيح مسلم (١/ ٧٨) ١٠٦ - (٥٨)

[ش (منافقا خالصا) قد استجمع صفات النفاق. (خصلة) صفة. (يدعها) يتركها ويخلص نفسه منها. (غدر) ترك الوفاء بالعهد. (خاصم) نازع وجادل. (فجر) مال عن الحق واحتال في رده]

(٣) إن من استكمل هذه الخصال فقد استكمل النفاق العملي.

(٤) الحث على إصلاح القول والفعل والنية،فإن من فساد القول الكذب،ومن فساد النية إخلاف الوعد،ومن فساد الفعل الغدر بالعهد.

(٥) أنَّ من حسن التعليم ذكر المعلِّم العدد قبل تفسير المعدود؛ ليكون أوقــعَ في ذهــن المتعلِّم.

(٦) بيان خطورة اجتماع خصال النفاق في الشخص.

(٧) التحذير من الكذب في الحديث، وأنَّه من خصال النفاق.

(٨) التحذير من إخلاف الوعد، وأنَّه من خصال النفاق.

(٩) التحذير من الفجور في الخصومة، وأنَّه من خصال النفاق.

(١٠) التحذير من الغدر في العهود، وأنَّه من خصال النفاق.[٨٨]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٨٨] – فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله (ص: ١٥٢)

[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - التوكل على الله حق التوكل]

عَنْ عُمَرَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا،وَتَرُوحُ بِطَانًا» رواهُ الإمام أحمدُ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه وابنُ حبَّان في " صحيحه " والحاكِمُ ،وقال التِّرمذيُّ:حَسَنٌ صَحيحٌ[٨٩].

المعنى العام :

يرشدنا هذا الحديث إلى أن نتوكل على الله تعالى في جميع أمورنا،وحقيقة التوكل هي الاعتماد على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والدين فإنه لا يعطى ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع إلا هو سبحانه وتعالى،وإن على الإنسان فعل الأسباب التي تستجلب له المنافع وتدفع عنه المضار مع التوكل على الله {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق:٣]، { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } [يوسف:٦٧].

ما يرشد إليه الحديث :

(١) فضيلة التوكل،وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق،قال الله تعالى {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } [الطلاق:٣].

---

[٨٩] – الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٩) (٩٧) والمنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي (١/ ٦١)(١٠) ومسند البزار = البحر الزخار (١/ ٤٧٦)(٣٤٠) والآداب للبيهقي (ص: ٣١٣) (٧٧٤) والزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ١٩٦) (٥٥٩) والسنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٨٩) (١١٨٠٥) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٣٥٤) (٧٨٩٤) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٦٩) وسنن ابن ماجه (٢/ ١٣٩٤) (٤١٦٤) وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٥٧٣) (٢٣٤٤) وشعب الإيمان (٢/ ٤٠٤) (١١٣٩) وصحيح ابن حبان – مخرجا (٢/ ٥٠٩) (٧٣٠) ومسند أبي داود الطيالسي (١/ ٥٥)(٥١) صحيح

(٢) أن التوكل لا ينافي النظر إلى الأسباب،فإنه أخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق،قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُبُلِيُّ :سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ،فَقُلْتُ:مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَسْجِدِهِ وَقَالَ:لَا أَعْمَلُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَنِي رِزْقِي؟ فَقَالَ أَحْمَدُ:هَذَا رَجُلٌ جَهِلَ الْعِلْمَ،أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ:«جَعَلَ اللهُ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي» (يَعْنِي:الْغَنَائِمَ)،وَحَدِيثَهُ الْآخَرَ حِينَ ذَكَرَ الطَّيْرَ،فَقَالَ:«تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا؟» ! فَذَكَرَ أَنَّهَا تغدو فِي طَلَبِ الرِّزْقِ.وَقَالَ الله تبارك وتعالى:(وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ) [المزمل:٢٠].وَقَالَ:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ ربكم} [البقرة:١٩٨].وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَّجِرُونَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَيَعْمَلُونَ فِي نَخِيلِهِمْ،وَالْقُدْوَةُ بِهِمْ.[٩٠].

(٣) إن الإنسان يفعل أسباب الرزق ويتوكل على الله ولا يحرص لأن الرزق مقدر وهو قد فعل له الأسباب.

(٤) إن العبد لا يكمل إيمانه إلا بالتوكل على الله في جميع أموره.

[٩٠] – المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٢٧) (٧٥٤)

[الْحَدِيثُ الْخَمْسُونَ - لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]

عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ بُسْرٍ،قَالَ:جَاءَ أَعْرَابِيَّانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا:يَا رَسُولَ اللَّه،أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ،قَالَ:«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».خرَّجه الإمامُ أحمدُ [٩١].

المعنى العام :

في هذا الحديث أن رجلا من الصحابة الكرام طلب من الرسول ﷺ أن يدله على أمر سهل جامع شامل لخصال الخير،فأرشده الرسول ﷺ إلى ذكر الله،فقال:"لا يزال لسانك رطبا،أي غضا من ذكر الله" تديم تكراره آناء الليل والنهار،فاختاره له ﷺ لخفته وسهولته عليه ومضاعفة أجره ومنافعه العظيمة التي لا تعد ومرجعها القرآن العزيز والأحاديث الكثيرة التي جاءت بفضله ومنافعه،ومن ذلك قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢} [الأحزاب:٤١،٤٢] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأنفال:٤٥] { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) } [الرعد:٢٨]. وعَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللهِ"[٩٢]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ،ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ،حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ:سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ،سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ "[٩٣]

---

[٩١] - صحيح ابن حبان - مخرجا (٣/ ٩٧) (٨١٤) ومسند أحمد (عالم الكتب) (٦/ ٧٧) (١٧٦٩٨) ١٧٨٥٠- صحيح

[ش - (أتشبث به) أي ليسهل علي أداؤها. أو ليحصل به فضل ما فات منها من غير الفرائض و لم يرد الاكتفاء به عن الفرائض والواجبات.]

[٩٢] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (١٥/ ٢٤٠) (٣٠٠٧٠) حسن لغيره

[٩٣] - صحيح البخاري (٨/ ٨٦) (٦٤٠٦) وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٢)٣١ - (٢٦٩٤) [ش (خفيفتان) سهلتان. (ثقيلتان) في وزن ثوابهما. (حبيبتان) محبوبتان أي إن الله تعالى يقبلهما ويوصل الخير لقائلهما ويكرمه]

ما يرشد إليه الحديث:

(١) فضل المداومة على ذكر الله تعالى.

(٢) مراعاة أحوال الناس،فلعل الرسول ﷺ رأى أن هذا الرجل لا يستطيع القيام بأعمال غير الذكر.

(٣) إن الذكر هو أفضل الأقوال لمن داوم عليه وأنه جامع للخير والسعادة.

(٤) حرص الصحابة رضي الله عنهم على الأسئلة عن أمور دينهم.

الفهرس العام

[الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ - إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى] ٣

[الْحَدِيثُ الثَّانِي - حديث جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسانِ] ٦

[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ - بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ] ١١

[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ - كيفية تخلق الجنين] ١٣

[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ - تحريم الإحداث في الدين] ١٧

[الْحَدِيثُ السَّادِسُ - حدود الحلال والحرام] ١٩

[الْحَدِيثُ السَّابِعُ - الدِّينُ النَّصِيحَةُ] ٢٣

[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ - الأمر بقتال النَّاسِ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ] ٢٦

[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ - اجتناب المنهيات والعمل بالمأمورات] ٣٠

[الْحَدِيثُ الْعَاشِرُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا] ٣٣

[الْحَدِيثُ الْحَادِيَ عَشَرَ - دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ] ٣٧

[الْحَدِيثُ الثَّانِيَ عَشَرَ - مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ] ٣٩

[الْحَدِيثُ الثَّالِثَ عَشَرَ - لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ] ٤١

[الْحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَرَ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ] ٤٣

[الْحَدِيثُ الْخَامِسَ عَشَرَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ] ٤٦

[الْحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَرَ - لَا تَغْضَبْ] ٤٩

[الْحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَرَ -إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ] ٥٢

[الْحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَرَ - اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ..] ٥٤

[الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ - احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ] ٥٧

[الْحَدِيثُ الْعِشْرُونَ - إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ] ٦٣

[الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ - قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ] ٦٥

[الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ - الجنة لمن قام بالواجبات وترك المحرمات] ٦٩
[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ - الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ] ٧٢
[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - تحريم الظلم] ٧٦
[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ -بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ] ٨٤
[الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ - كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ] ٨٨
[الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ - الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ] ٩٢
[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ -أهم وصية نبوية] ٩٥
[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ - العمل الذي يدخل الجنة] ٩٩
[الْحَدِيثُ الثَّلَاثُونَ - إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا] ١٠٤
[الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ - ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ] ١٠٦
[الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ - لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ] ١٠٨
[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ -البَيِّنَةُ على المُدَّعي واليَمينُ على مَنْ أَنْكر] ١١٠
[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ - مراتب تغيير المنكر] ١١٢
[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ - لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا] ١١٥
[الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ -مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا] ١١٨
[الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ - إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ] ١٢٣
[الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ -..مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ] ١٢٧
[الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ - إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ.] ١٣٢
[الْحَدِيثُ الْأَرْبَعُونَ - كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ] ١٣٤
[الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ - لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ] ١٣٨
[الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ - أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا] ١٤٥
[الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ] ١٤٧
[الْحَدِيثُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ - تحريم بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ] ١٤٩

[الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ - كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ] ١٥١
[الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ] ١٥٣
[الْحَدِيثُ الثَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ - التوكل على الله حق التوكل] ١٥٧
[الْحَدِيثُ الْخَمْسُونَ - لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ] ١٥٩